

حد الموسى

سومرست موم

لوحة للفنان: محمود الهندي

محمد الموسى

حد الموسى

تأليف : سومرست موم
ترجمة : الشريف خاطر
مراجعة : مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيده سوزان مبارك

(سلسلة الأدب العالمى للناشئين)

حد الموسى

تأليف: سومرست موم ترجمة: الشريف خاطر

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ الذى يتلهفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

المــؤلف

ســومرست مــوم

ولد ســومرست موم فى باريس يوم ٢٥ ينــاير عام ١٨٧٤ ، وكان الابن الســادس لوالده الذى كان يعمل مستشارا فى السفارة البريطانية فى باريس · قضى طفولته فى بيئة فرنسية خالصــة ، وتحدث بلغتها ولم يكن يتكلم الانجليزية الا فى بيت أبيه ، ومن هنا نشأت عقليته على ما تنشأ عليــه عقلية الأطفال الباريسيين ·
فى سن الثامنــة ماتت أمه بمرض السل وما لبث أن مات أبوه وهو فى سن العاشرة فكانت هــذه الصــدمة كفيلة بتبديل نظرته الى الحياة · وغادر باريس مهد الطفولة ومرتع لهوه البرىء ، وعــاد الى لندن ليعيش

فى بلده الغريب عنه ويقسم بين أناس لا تربطهم به صلة معرفة أو ود وان كانت تربطه بهم صلة قرابة ودم ٠

فى لندن قام عمه الفس بكفالته ، وهو رجل متدين يتخذ من الدين صناعة لا يعرفها الصبى الباريسى المتحرر ٠ أقام مع عمه فى حى من أفقر أحياء لندن ، وعانى من شظف العيش فى هذه البيئة المتقشفة . وذاق مرارة الوحدة وبكى باريس وأيامها الحلوة ٠ ألحقه عمه بمدرسة كانتبرى الثانوية وهناك عانى من سخرية أساتذته المدرسين وزملائه الطلبة على السواء . فقد كان يحصل على الدرجة النهائية فى اللغة الفرنسية ، بينما يأخذ صفرا فى اللغة الانجليزية التى لم يكن يجيد التحدث بها ، فما بالك بكتابتها والالمام بمصطلحاتها وقواعدها ٠ لم ييأس موم ، بل عكف على هذه اللغة يقرؤها فى الكتب والروايات ويكتب مفرداتها ويرصد شواردها حتى تصبح طيعة له ٠

بعد اتمام الدراسة الثانوية أشار عليه عمه أن يسافر الى المانيا للدراسة بجامعة هايدلبرج ، فلم

يمانع موم رغبة فى الفرار من لندن ومن انجلترا كلها . وواظب على المحاضرات فترة من الزمن ، لكنه لم يتخرج من الجامعة . لكن هذه الفترة أكسبته وفرة من المعارف والخبرات وازدادت ثقافته نموا .

لكن عمه ظل يلح عليه للالتحاق بكلية عملية ليضمن حرفة توفر له العيش بأمان ، وما زال به حتى التحق بكلية الطب وتخرج فيها . لكنه لم يتخذ له عيادة قط ولم يمارس الطب عقب تخرجه باستثناء تلك الفترة التى قضاها كطبيب امتياز فى مستشفى «لامبث» . كتب فى تلك الفترة أولى قصصه الرائعة « ليزا فتاة حى لامبث » ، تلك القصة التى أعادت له الثقة فى نفسه بوصفه كاتبا يجيد الكتابة باللغة الانجليزية ، هذا بالاضافة الى أنه كتب مسرحية بالألمانية التى أجادها وبرع فيها وأحبها . وتعجب احدى الفرق الألمانية بالمسرحية فتقدمها على أحد مسارح برلين ، ويقبل عليها أهل العاصمة ويعجبون بها . وهنا يتأكد موم من أنه خلق للأدب سواء على مستوى القصة أو الرواية أو المسرحية .

لكن ذكريات طفولته كانت تراوده من حين لآخر ، فازداد ضيقا بما يحيطـه فى حياته بانجلترا وساءت حالته النفسية وبالتالى زادت حالته الصحية سـوءا وتحرك داء صدره القديم وهدده بخطر محدق · نصحه الأطباء بأن يستشفى على البحر المتوسط جنوب فرنسا حيث الدفء وجمال الطبيعة ، فسافر الى هناك وقضى الصيف على رمال الشاطىء مستمتعا بالبحر والنسيم الجـاف النقى الممتع · لكن نفسه أخذت تنازعه الى باريس ، فما أن انتهى موسـم الصيف حتى عـاد مع المصطافين الى باريس ·

قضى فى باريس عشر سنوات مارس فيها حياتـه الفنية يكتب القصة والرواية والمسرحية ، وظل يكدح فى هذا المجـال مستلهما مواطن جمال باريس وومضات تألقها الفكرى والروحى · لكن الفنان الأصيل لا يستطيع أن يظل حبيس مكان واحد ، وتاقت نفسـه الى الانطلاق وارتياد مختلف أقطـار العالم والاستمتاع بمشاهدتها والتزود بمعارفها ، خاصـة أقطار الشرق التى يسمع عنها فتهفو نفسه اليها · الشرق الذى وصفته قصص

الف ليلة وليلة بما يحفل به من مادية وخيال وسحر ومغامرات .

وهكذا عمل طبيبا على احدى البواخر المتجهة الى الشرق الأقصى لكى يستعين بالراتب على نفقات الرحلة . ولا ينسى تلك الرحلة الخالدة التى نقلته عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندى الى جزر الشرق الأقصى حيث السلام والدعة والحياة فى أحضان المحيطين اللذين لم تتلفهما حضارة أوربا الصناعية الاستعمارية بعد . وهنا شعر موم أن هناك حياة أخرى قد انفتحت أمامه فبدأ يرسم لوحات هذا الجمال الطبيعى التى لم يقدرها أحد ، بعدها بدأ يرسم لوحاته بالكلمات على الورق .

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى استدعى موم وعين ضابطا بالمخابرات البريطانية ، هذا الأمر الذى أصاب ضميره بأزمة شديدة ظلت تلازمه لفترة طويلة ، وخلال عمله انتدب لمهمة فى روسيا فانتهز هذه الفرصة لكى يصل سلسلة رحلاته القديمة ويزور

تلك البـلاد العريقـة التى انجبت جوجول وبوشـكين وتولوستوى ودستوفسـكى وغيرهم من ملوك القصـة وأعلام الأدب الواقعى الذى افتتن به موم • وأيضـا لكى يرى بعينيه مقدار السظف الذى كان يعانيه الشعب الروسى فى زمن كانت تولى فيه الحكم حـكومة معظم مسئوليها من رجال المخابرات الذين يعملون لحسـاب القيصر مباشرة • زمن كانت سجون روسيا فيه مكتظة بضحايا لم يكن لهم ذنب الا الحلم بالحريـة وبحياة أفضـل •

كانت الرحلة زادا لا ينتهى لقلب الأديب الشاب، فشرع موم فى قراءة كل القصص الروسية لتصبح ذخيرة يضيفهـا الى ما قرأه من أعمـال قصصية للكتـاب الفرنسـيين ، وعلى رأسـهم اميـل زولا والآخـوين دى جونكور وغيرهم من زعماء المذهب الطبيعى فى فرنسا، اضافة الى ما قرأه لديكنز وفيلدنج وسـكوت وهاردى وكونراد وستيفنسون • كما شاهد بعضا من المسرحيات التى تتسم بالصبغة الطبيعية القاتمـة ولاحظ وجود

بعض صلات التقارب بين هذه المسرحيات ومبلاتها من المسرحيات الألمانية الطبيعية التى كان يقدمها المسرح الالماني فى برلين ٠

من خلال هذه المحصلة الضخمه التى انعكست فيها أناقة باريس وبراعة الانجليز وعمق الألمان وسحر الشرق ، استطاع حوم ان يبتكر لنفسه أسلوبا ادبيا متميزا ٠ فكتابته تصوير دقيق واضح القسمات ، أخاذ المشاهد ، ليس فيها حشو أو اختصار ولا تنقصها الأصالة او تشوبه الصنعة المفتعلة ، ويختار من الموضوعات ما يلائم موهبته التصويرية ، حتى ان أسلوبه وصف بالسهل الممتنع ، بمعنى أنه يبلغ من البساطة حدا يجعله أشبه بالحديث العادى لكنه أشبه بنظم اللؤلؤ فى صاغته ٠

هذا بالرغم من أنه عاش فى ظل مذهبين أدبيين هامين ، هما المذهب الواقعي والمذهب الطبيعي ، مما حدا بكثير من النقاد الى عدم تصنيفه ضمن مدرسة أدبية بعينها أو أى مذهب بذاته ٠ وحقيقة هم معذورون

فى هـذا ٠٠ فالرجل متعدد الجوانب جم الانتاج ، فهو على سبيل المثال ظل يمد المسرح من عام ١٩٠٢ حتى عام ١٩٣٧ بمسرحية أو مسرحيتين أو ثلاثا كل عام ٠٠ ولم يكن يتوقف عن كتابة القصـة التى هى ميدانـه الأول ، فكانت تصدر له بالاضافة الى مسرحياته رواية طويلة فى المتوسط كل عام فى هذه الحقبة نفسها ، حتى انقطع لكتابة القصة بعد عام ١٩٣٧ ٠

•

هذه هى أهم الملامح التى يمـكن أن نتعرف من خلالها على الكاتب والأديب « وليم سومرست موم » ٠ كتب موم منـذ عـام ١٩٠٢ وحتى عـام ١٩٣٧ سبعا وعشرين مسرحية أغلبها ملاه خفيفة الا بعض المـآسى ، منها على سبيل المثال مسرحية « الشعلة المقدسـة » التى يقتل فيها بطلها المعذب امه ، ومسرحية « من أجل العـدالة » تلك الميلودراما التى جعل المؤلف أقـوى شخصية فيها تقدم على الانتحار فى آخر المسرحبة ٠ لقد كان موم يدور فى معظم اعمـاله حول الحب الخـائن والصبوة الزوجبة ونفاق رجال الدين ٠

ومن أهم اعمال موم الروائية ، رواية « أغلال الانسانية » التى قال عنها احد النقاد انها اشبه بالأعمال الكلاسيكية وسط الأعمال الأدبية الحديثة ، وهى أقرب الى تصوير سيرة حياة منها الى القصة وفق مفهومها المتعارف عليه · وترجع اهمية هذه الرواية الى أنها تحلل شخصية المؤلف وتعين القارىء على فهمها · لقد وصف لنا موم حياته الخشنة المريرة التى عاشها فى كنف عمه وعبر عما كان يعانيه من الم وعذاب بسبب عاهته ، وعما كان يداعبه من أمل فى البرء منها · ثم ما كان يصيبه بعد ذلك من خيبة أمل مضنية ·

فى عام ١٨٩٧ نشر اول قصة له تحت عنوان « ليزا فتاة حى لامبث » وصور من خلالها حياة الضنك والعوز فى ذلك الحى الفقير ، وسجل فيها خواطره وتجاربه المستخلصة من حياته وهو طبيب امتياز فى مستشفى حى لامبث · لكن اولى قصصه التى فازت بالشهرة والرواج هى قصة « رجل ذو شرف » التى صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٠٣ · وما ان انتهت الحرب

العالمية الأولى حتى شرع موم فى كتابة روايته الشهيرة « القمر وستة بنسات » وفرغ من كتابتها واصدارها عام ١٩١٩ • وتتميز هذه الرواية بأسلوبها الحار الفوق التعبير . ولعل ذلك يرجع الى أن موم عبر فى تلك الرواية عن خوالج نفسه وأمانيها ، بل لعله رسم لنا نفسه من خلال بطل الرواية •

فى رواية « الكعكة والجعة » التى صدرت عام ١٩٣٠ ، صور فيها شخصية الكاتب الانجليزى الكبير « توماس هاردى » وفضح أسرار حياته الخاصة وعرض بزوجته الشابة الفاتنة • وتتعرض الرواية لكاتب مرموق يتزوج بعد أن تجاوز سن الكهولة بصبية حسناء ، تدله فى حبها الى حد السماح لها بتحقيق أى رغبة من رغباتها ، تمرح وتستمتع كما تشاء • ورزقت الزوجة بطفل تعلقت به تعلق الأم خالية القلب ، لكن الطفل مات فحزنت عليه حزنا شديدا وناءت بحزنها الكبير فراحت تلتمس العزاء •• ولكن ، كيف كان العزاء ؟ • أسلمت نفسها لأول من صادفت • وسألها

الرجل وهو يهم بالانصراف عنها . « لماذا تخونين زوجك ؟ » . فأجابته في دهشة وامتعاض : « أخون زوجي ؟ ! ... هذه كلمة كدرة ... انا لا أخون زوجي ، فهو على علم بكل ما أفعل ... فأنا أعترف له بكل شيء !! .. » أما الزوج فيبرر ذلك بأن زوجته الحسناء أشبه بالوردة التي تتفتح للناس . ولا تستطيع ان تضن عليهم بحسنها وعبيرها !! .

لقد حاول موم ان يكون محللا لنفوس البشر من خلال أعماله الروائية ، ناقدا لسلوكهم ، مصورا لحقيقة طباعهم وسجاياهم . ولكن ظروف حياته التي عرضنا لها جعلته لا ينظر الا الى جوانب النقص والعيب والشر فيهم ، ولا يلقى بالا الى جوانبهم الأخرى الطيبة الفاضلة الخيرة ، وهذا ما جعله يبدو متشائما في أغلب أعماله . واذا اضطر الى الاعتراف بميل بعض النفوس الى الخير والفضيلة . فهو يصور ذلك على أنه حدث عارض لا يلبث أن يتبدد لأنه لن يصمد أمام الشر الذي جبلت عليه نفوس البشر ، أو يصوره على أنه نزعة

عارضة غير طبيعية لا تلبث النفوس بعدها ان تعود الى حالتها الأولى ٠

ولعل خير مثال على ذلك رواية « القناع الخفى »، التى تدور احداثها فى ميناء بالشرق الأقصى والتى تبدأ احداثها بمشهد مثير ٠ زوجة تخون زوجها فى منزل الزوجية ٠٠٠ كانت مرتمية فى أحضان عشيقها حينما رات ستار الباب يتحرك ، أو خيل اليها أنه يتحرك ، فأفاقت من نشوة الحب ، وافضت الى عشيقها بما رأته ٠ وبرغم فزع العشيق الا أنه راح يطمئنها ويطمئن نفسه بأن زوجها لن يعود من رحلته الا بعد أيام وأن ما رأته محض اوهام ٠

كان الزوج قد رآها بالفعل ، وانبأها بأنه كان على علم من قبل بخيانتها ، ولذلك فسوف يسافر متطوعا الى بلاد نائية للمشاركة فى مكافحة وباء انتشر فيها ، فاعترفت له بأنها لم تعد تحبه وأنها تطلب الطلاق ؛ فأخبرها بأنه على أتم استعداد لتطليقها بشرط أن يتعهد عشيقها بالزواج منها بعد طلاقها ٠ طارت

الزوجة الى عشيقها بزف اليه البشرى . لكنها صدمت وكادت تشك فى سمعها عندما سمعته يقول انه لا يستطيع التوقيع على مثل هذا التعهد • عادت الى البيت بجر أذيال الخيبة ، لتكتشف سفر زوجها فتعقد العزم على التكفير عن خطيئتها بالتطوع لمكافحة الوباء ، فاما أن يقضى الوباء عليها فيطهرها الموت من خطيئتها واما أن تناضل مع المناضلين ضد الوباء فيخفف عملها الطيب من فداحة جرمها •

هناك أعرض الزوج عنها ، لكنه بعد توسلاتها واعلان ندمها وقسمها أنها جاءت تنشد الموت لتمحو عارها ، أذعن الزوج لتوسلاتها وعملت معه جنبا الى جنب فى مكافحة الوباء • وحدث أن أصيب الزوج بالوباء فسهرت الزوجة على رعايته ولكن الداء ألح عليه وعز الشفاء ، فقال لزوجته وهو يسلم الروح : « انه يموت راضى النفس ، مستريح البال بعد أن استوثق من توبتها » • وتقسم الزوجة أن تقضي بقية حياتها فى خدمة الخير والفضيلة •

عادت الروجة الى وطنها ، وما ان استقرت فى بيتها حتى فوجئت بزيارة الرجل الذى خدعها وخذلها ، يقبل عليها باسم الثغر مشرق الوجه . وكأنما العلاقة القديمة ما زالت قائمة دون أن يطرأ عليها ما يعكر الصفو . صرخت المرأة فى وجهه بأن يبتعد ولا يدنس المكان بوجوده وأن يخرج على الفور . الا أن الرجل ابتلع اهانته وأقبل عليها وهى تتراجع مذعورة ولامها على سوء لقائها له وأقسم أنه ازداد فى غيبتها تعلقا بها ولهفة عليها . كانت تدفعه بعيدا عنها وهو يحاول ضمها وتقبيلها ، وظل النضال بينهما على أشده ، خوفها يزيدها ضعفا ورغبته المتأججة تزيده قوة وبطشا . وأخيرا تمكن منها وطوقها بذراعيه القويتين وضمها الى صدره ، فارتجفت وتخاذلت ... فتمكن ثغره من ثغرها فانهارت البقية الباقية من مقاومتها ... !

وامتدادا لوجهة نظره بتأصل الشر فى البشر سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل نجده فى روايته « المطر » ، يقدم لنا نموذجا لرجل يعمل قسيسا كان مسافرا على ظهر سفينة تمخر المحيط الهادى ، لم يستطع أن

ينسى مهمته حتى اثناء سفره فأخذ ينقل على رفقائه
بمواعظه . وكان ضمن المسافرين غانية تحترف الرقص
لعلها كانت أولى برعايته ، لكنه ازدراها وأشاح
بوجهه عنها • وحدث أن رست السفينة بأحد موانى
الشرق الأقصى ولم يكن يوجد سوى فندق واحد
يؤوى كل المسافرين ، وانهمر آنذاك مطر ثقيل فهرع
الجميع الى الداخل . لكن القسيس رفض أن يضمه
والغانية سقف واحد ، فالشيطان يتقمص جسدها !
وتوسط لديه بعض الحاضرين وقالوا انه يحكم عليها
بالموت اذا تركت تبيت فى العراء تحت وابل المطر المنهمر ،
وبعد لأى قبل القسيس أن تبيت ليلتها على أن تبحث
لها فى الصباح عن مكان آخر • جلس القسيس فى البهو
فرشقت عيناه الغانية تروح وتجيء فخفق قلبه لمشيتها
الراقصة التى زادت قطوف جسدها حسنا ورواء ،
فتقمص الشيطان جسده هو أيضا ولذعت جوانبه رغبة
ملحة فى لمس هذه القطوف اليانعة ولم يستطع كبح
جماح نفسه وأقبل عليها يلاطفها متظاهرا بهدايتها • وفى
الهزيع الأخير من الليل سمع جميع من فى الفندق صراخا

صادرا من غرفة الغانيــة فهرعوا الى مصدر الصوت ، فوجدوا باب غرفــة الغانيــة يفتح بعنف ويخــرج منه القسيس مهرولا وهو يحمى رأسه بيديه والغانية من خلفه تضربه وتصيح : « أتدعى الورع وأنت أفســق الفاسقين ، أحط خلق الله أجمعين ؟ ! ••• » •

لم يقف « موم » عند حدود نوع معين من الكتابة بل تعدى ذلك الى مجالات أكثر رحابة ونذكر على سبيل المثــال روايته المعروفــة « الرســالة » ، التى تتعرض للعلاقة بين المتحضرين البيض والأجناس الأخرى ويبدى فيها تعاطفه معها • تقع أحداث هذه الرواية فى احدى جزر الهند الشرقية ، وخلاصتها أن امرأة انجليزية قتلت أحد أصدقاء زوجها بينما كان زوجها على سفر ، وادعت فى التحقيق أنه زارها أثناء غياب زوجها وحاول اغتصابها ، فاضطرت الى اطلاق الرصــاص عليــه صونا لعرضها ودفاعا عن شرفها • ويبدو أن هذا التبرير كان مقنعــا بالنسبة للمحقق ، لكن الحقيقة كانت غير ذلك ، فقد كان القتيل عشيقا لهذه الســيدة حيث كانت تلتقى به فى

بيته . وبمرور الأيام فترت العلاقة بينهما وصارحهـا الرجل ذات يوم بأنه لم يعد يحبها ويريد قطع علاقتـه بها . حز ذلك فى نفسها ، لكن الذى أطاش صوابها أنه استبدل بها فتاة « آسيوية » ! واعتبرت ذلك أكبر اهانة يمكن أن تلحق بسيدة أوربية ، اذ كيف يتسنى لخادمة صفراء قذرة أن تنام فى نفس الفراش الذى كانت ترقد هي فيه ؟ وتحل محلها بين أحضان الرجل الذى تحبه ؟ . وصممت على أن تغسل تلك الاهانة بالدم ، فكتبت اليه رسالة تدعوه فيها الى زيارتها . ونفذت خطتها الجهنمية التى أعدتها وثأرت لكرامتهـا وقتلت الرجل .

وذات يوم جاءها رسول من قبل غريمتها الآسيوية واخبرها أن الفتاة الآسيوية تحتفظ بالرسـالة التى سبق أن بعثت بها للقتيل ، وهى على استعداد لرد الرسالة بشرط أن تأتى اليها بنفسها وتنحنى أمامهـا وتطلب الرسالة منها جاثية على ركبتيها . وتغلب جبن

السيدة الأوربية على كراسيها المصطنعة ، وذهبت الى المرأة التي تحتقرها وتمقتها وانحنت أمامها مرددة كبرياءها ، وتوسلت اليها أن ترد لها الرسالة ... وهي جاثية على ركبتيها .

وتعتبر رواية « حد الموسي » التي سيلتقى بها القارىء من خلال ترجمتنا لها ، من اهم أعمال موم الأخيرة ، فهي تصور حياة فتى أمريكي ضاق بالحياة المادية المصطنعة في بلاده وتعطشت روحه الى الانطلاق من قيودها الثقيلة المرهقة وتطلعت الى ما وراء سياج ماديتها . فانطلق الفتى مرتحلا في أنحاء الأرض باحثا عن الحقيقة ، راجيا أن يجد فيها راحة البال بعد أن عاني من السأم والضيق ، فسافر الي باريس وتجول في أنحاء اوربا ، لكنه لم يجد ما يشفي ظمأه ويعيد الطمأنينة الى نفسه المعذبة حتى وصل الى بلاد الهند ، وهناك التقى بزاهد حكيم يعيش فوق قمة جبل عال منعزلا

عن الناس ، يقضي وقته في التعبد والرياضة الروحية .
وتعلم الكثير من هذا العالم عن الفلسفة البوذية
والتصوف ، ووجد فيها ما يشبعه وأرضى نفسه وارتباطه
بالله . ويعود من الهند الى موطنه وقد أصبح انسانا
آخر مختلفا كل الاختلاف عما كان عليه . أحس أن
تطهر من أدناس البشر وشفي من دائه وهو داء
الغرور ، واصبح لا يبالي بحماقات الناس وتفاهاتهم ،
بل يشفق عليهم من تباهيهم رغم عجزهم وضعفهم .

الشريف خاطر

(١)

أصــدقاء اليــوت

أنا كاتب . شغوف بملاحظة الناس وما يفعلونه في حياتهم . بعض النــاس يعيشــون حيــاة رغــدة ويصبحون مشهورين ، والبعض الآخر لا يعرفه ســوى أصدقائه . وأنا عــادة لا أكتب رواياتي عن أشخاص حقيقيين . لكنني هذه المرة أكتب عن رجل عرفته جيدا منذ عدة ســنوات مضت . كانت حياة هــذا الرجل غريبة جدا ، لكنه لم يصبح مشهورا أبدا .. اســمه « لورانس داريل » لكن أصدقاءه كانوا ينادونه باسم « لارى » .

حدث أن زرت العديد من الأماكن الفريدة وقابلت

نمــاذج غير عادية من البشر ، لكن « لارى » كان اغرب انسان قابلتــه على الاطـلاق • ربما يكون على قيد الحياة الآن ، أو ربما يكون قد مات ، لكننى اود أن أقص عليكم حكايته ، التى بدأت فى أمريكا •

فى عام ١٩١٩ ، كنت فى زيارة لأمريكا ، وأقمت فى مدينــة شيكاجو لمدة أســبوعين أو ثلاثة • عندما انتهيت من أعمــالى نويت السفر الى الشرق الأقصى •

كان قد صــدر لى حديثا كتاب فى انجلترا حقق لى شــهرة كبيرة ، جعل كثيرا من النــاس فى شيكاجو يودون لقــائى • وكان أحد هؤلاء ثريا أمريكيــا يدعى « اليوت تمبلتون » •

كانت علاقتى باليوت قد توطدت منذ عشر سنوات• ورغم أنه أمريكى الا أنه كان عادة ما يقيم فى باريس • كان اليوت ثريا جدا ، ويقول عنه البعض انه نشأ فى أسرة فقيرة ، وهو طويل القامة ويبدو كشخصية هامة جدا ، فدائما ما كان يرتدى ملابس فاخرة ، كما أنه كان فى غاية الأدب •

كان من الأثرياء الذين يستمتعون بانفاق أموالهم ، كما كان يحب الحديث مع الأثرياء واقامة الكثير من الحفلات والاستمتاع بالطعام الجيد ٠

كان لاليوت شقة في باريس وأخرى فى لندن ، تزخر كلتاهما بالتحف الجميلة التى كان يشتريها من المدن الكبرى فى أنحاء العالم٠كما أنه كان معجبا بالشخصيات الهامة ، وعندما كنت شابا فقيرا لم يكن اليوت يهتم بى ، أما الآن وقد أصبحت مشهورا فقد أسعد اليوت أن أكون صديقا له ٠

عندما علم اليوم أننى فى شيكاجو سرعان ما اتصل بى تليفونيا فى الفندق الذى أقيم فيه ٠

قـال لى :

ــ « اننى أقيم هنا عند أختى ، السيدة برادلى ٠ وهى تود رؤيتك ٠ يسعدنا أن تتناول معنا العشاء مساء غد ٠ وبالمناسبة يمكنك رؤية ابنتها « ايزابيل » وبعضا من أصدقائها » ٠

ـ « اشكرك · وكم يسعدنى ذلك كثيرا » ·
قـال اليوت :

ـ « عظيم · سأتصل بك الساعة الثامنـة من مساء الغد » ·

كانت هذه هى المناسبة التى قابلت فيها لارى داريـل ·

مساء اليوم التالى حضر اليوت الى الفندق فى كامل اناقته كالعادة · صافحنى بحرارة ، واقترح أن نتمشى قليلا فى جزء من الطريق ·

كانت السيدة برادلى شقيقة اليوت ، سـيدة ثرية ، لكن ليس فى ثراء اليوت · وكانت ابنتهـا ايزابيل تعيش معها أما زوجهـا والد ايزابيـل فقد مـات ·

سألنى اليوت :

ـ « الم نقابل شقيقتى من قبل أبدا » ·
أجبت :

ـ « كلا ، لأنها لم تحضر معك الى باريس » ٠

ثم سألته :

ـ « ما هو عمر ابنتها الآن ؟ » ٠

أجـاب اليوت :

ـ « فى التاسعة عشرة ٠ فتاة جميلة ٠ لكننى لست راضيا عنها » ٠

ولاحظت أنه متضايق بعض الشىء عندما تحدث عن ايزابيل ٠

سـألته :

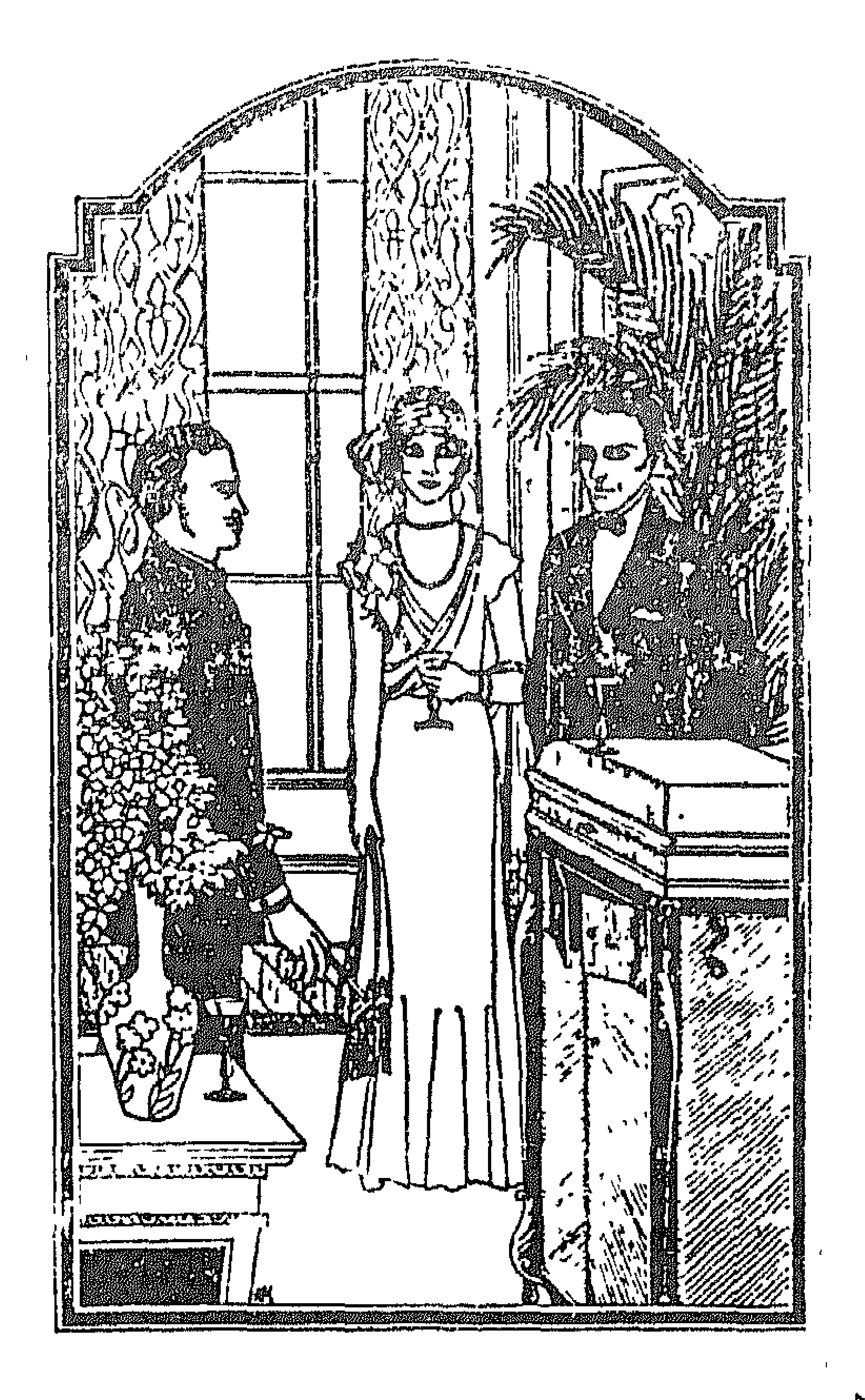
ـ « لمـاذا ؟ ماذا حدث ؟ » ٠

قـال :

ـ « ارتبطت أخيرا بشاب غير مناسب لها على الاطلاق ٠ وأرى أنها ترتكب خطـأ جسيما ٠ فايزابيل فتاة صغيرة ، لكنها أصبحت حمقاء للغاية » ٠

قـلت :

ـ « الفتيات يتزوجن فى سن مبكرة هذه الأيام،



يا اليوت . لكن ما العيب فى هـذا الشـاب ؟ هل تعرفـه ؟ » .

ــ « اسمه لارى داريل ، صحيح أنه ينحدر من أسرة طيبة ، وهو شاب لطيف . لكن ليس لديه مال . فكيف يتزوج ايزابيل وليس لديه نقود ؟ » .

كان اليوت ثريـا جدا ، ولا يستطيع أن يهنـأ بسعادته دون مال ، وبالتـالى كان يتصـور أن كل أصدقائه لا يمكن أن يسعدوا دون مال .

سـألته :

ــ « ألا يستطيع لارى أن يجد عملا ؟ فأنا أعتقد أن أمريكا مكان مناسب لأى شـاب يريد أن يحقـق أمـوالا » .

كان اليوت فى غاية الضيق وتكلم بالكاد .

ــ « حاولنا مساعدته . عرضت على لارى وظيفة عند صديق لى يدعى « ماتيورين » . رجل أعمـال ماهر . لكنه رفض . لو أنه عمل معه فسرعان ما سيكون

معه نقود كثيرة · لكن لارى ليس مهتما بالنقود · أعتقد أنه يستمتع بفعل لا شيء » ·

استدعى اليوت سيارة أجرة · وخلال عشر دقائق كنا قد وصلنا الى بيت شقيقته ، ويقع فى شارع طويل مليىء ببيوتات قديمة ضخمة ، والشارع نفسه فى الحي الثرى من المدينة · دفع اليوت أجرة السيارة وارتقينا درجات سلم البيت ·

قال اليوت :

ـ « سيكون لارى هنا الليلة ، وبالطبع ستقابل ايزابيل · ومعظم الحاضرين أصدقاء ايزابيل · »

فتح أحد الخدم الباب ، ودلفنا الى الداخل · كان البيت دافئا ومريحا · والأثاث من النوع الفاخر الثمين ، والحوائط مغطاة بالصور · ويبدو أننا وصلنا متأخرين بعض الشيء ، اذ أن الضيوف كانوا قد وصلوا بالفعل · كان اغلبهم من الشباب تقريبا ويثيرون شيئا من الجلبة ، ويرتدون ملابس فاخرة مما يدل على أن معظمهم من الأثرياء ·

قادني اليوت لأتحـدث مع شقيقته ، السـيدة برادلى ، وابنتها ايزابيل • كانت ايزابيل فتاة طويلة القامة ، لطيفة ، شـعرها اسـود ، ووجهها يفيض سعادة وحيوية ، ترتدى فستانا أبيض فى منتهى الأناقة ، لكنه كان يكسبها شيئا من البدانة • كانت تضحـك وتتكلم مع اثنين من الشـبان • حدثنى عنهما اليوت عندما كنا نتجول عبر المكان :

ـ « هذا الشاب الطويل هو « جراى ماتيوورين »، والآخر « لارى » •

كان جراى يتسم بالرجولة والرقة ، لكن ليس متأنقا فى ملبسه • ولا يستطيع أن يتوقف عن متابعـة ايزابيل ، فى حين أنها كانت مهتمة بلارى فقط ، الذى كان يقف الى جوارها ولا يتحدث كثيرا • وما ان يبتسم لها حتى تبدو سـعيدة بطريقـة غريبـة ، حتى أننى شعرت بالأسف لها •

سلمت على السيدة برادلى وايزابيل وتفوهت بعدة كلمات قليلة • ثم تطلعت الى لارى بامعان • وحقيقة فقد أعجبت بهذا الشاب •

كان لارى طويلا ونحيفا ، ذا وجه بشوش جدا . شعره بنى وعيناه داكنتا السواد . عندما كان لارى يتطلع الى الناس ، كان يبدو عليه أنه يتفهم أفكارهم . اردت أن أتحدث معه ، لكن سرعان ما انتقلنا الى حجرة أخرى لتناول العشاء . لم تسمح الظروف بالجلوس الى جواره ، فلم تتح لى الفرصة للتحدث معه .

جلست الى جوار فتاة شقراء الشعر خضراء العينين ، حاولت التحدث معها ، لكنها كانت خجولة جدا . اخبرتنى بأن اسمها صوفى . وهى تعرف لارى منذ أن كانا طفلين . كانت تتطلع الى كل الموجودين من خلال عينيها الخضراوين بتركيز شديد . وغالبا ما كانت توجه نظرها الى ايزابيل ولارى . وكلما ابتسم كل من ايزابيل ولارى لبعضهما ، كانت صوفى تكتسى بمسحة من الحزن ، فقلت لنفسى :

ـ « ربما كانت تحب لارى أيضا ، فهو بالتأكيد شاب يثير الاهتمام » .

بعد تناول طعام العشاء الذى كان جيدا جدا ،

انطلق الشـــباب للرقص ٠ وعندما هممت بالعودة الى الفنـــدق ، طلب منى اليوت أن أبقى ٠ وبدأ اليـــوت ووالدة ايزابيل التحـــدث عن لارى وايزابيـــل ٠ كان البوت غاضبا أكثر مما كان عليه أثناء العشاء ٠

قـــال بصوت مرتفع :

ـ « هل تعلم أن لارى رفض استلام الوظيفـــة التى عرضها عليه السيد ماتيورين ٠ قال انه لا يريد العمل فى شيكاجو ٠ كما أنه ليس مهتما بجمع المـــال على الاطلاق » ٠

ســـألت :

ـ « ما الذى ينوى عمله اذن ؟ » ٠

أجـــاب اليوت :

ـ « لا شىء ٠ لا شىء على الاطلاق ٠ قال لى انه يريد أن يقضى وقته فى التسكع ٠ لا يمكن أن تتزوج ايزابيل شخصا مثل ذلك ٠ ينبغى أن تتزوج جراى ما تيورين ، فهو يحبها ويعمل باجتهاد ٠ وسيصبح رجل

أعمال ناجحا فى الوقت الذى يصير فبه لارى لا شىء

قالت والدة ايزابيل :

ـ « شاب غريب ، لارى هـذا . انا لا أفهمه . لكن ماذا استطيع أن أفعل ؟ فايزابيل نحبه » .

فقال لها اليوت :

ـ « أمور الزواج لابد أن تتدبرها العائلة » .

كان اليوت يتمسك بالأفكار القديمة ، ولا يستطيع تفهم الشباب وأفكارهم المختلفة .

قـلت :

ـ « أعتقد أن ايزابيل ستتصرف كما يحلو لها . فهى تحب لارى لأنه مختلف عن أصدقائها الآخرين » .

بعد ذلك النقاش غادرت منزل آل برادلى . كان جو تلك الليلة لطيفا فسرت عائدا الى الفندق . أثنـاء سيرى فى الشوارع الخالية ، فكرت فى لارى داريل ، فقد كان شابا متفردا ، ووددت أن أعرف عنه المزيد .

(٢)

رغبة لارى فى السفر

فى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكرا ، وأردت قضاء بعض الوقت فى القراءة فى احدى المكتبات الكبيرة قبل مغادرة شيكاجو ٠

عندما دخلت لاح لى فى البداية أن المكتبة خاوية ، ثم اكتشفت أن هناك شخصا آخر يقوم بالقراءة ٠ ودهشت جدا عندما اكتشفت أن ذلك الشخص هو « لارى » ٠ وعندما مررت به رفع بصره الى أعلى ، وهكذا سنحت الفرصة للحديث معه ٠

ـ « صباح الخير يا لارى ٠ لقد دهشت لرؤيتك

هنا فى هـذا الوقت المبكر · ألم ترقص طوال الليـل ؟ الست متعبا ؟ » ·

ابتسم لارى ابتسامة لطيفة ، وقال :

ــ « نعم · ولقد واصلت الرقص مع ايزابيل · ولم اعد الى بيتى الا فى وقت متأخر جدا · لكننى لست متعبا على الاطلاق · تفضل بالجلوس للحظة » ·

رددت عليه :

ــ « شـكرا ، فأنـا لا أريـد ان أعطـلك عن القراءة » ·

ولمـا كنت أتوق لمعرفة الكتاب الذى يقراه لارى، ولم يكن باستطاعتى قراءة عنوانه ، قلت :

ــ « ماذا تقرأ لارى ؟ » ·

ناولنى لارى الكتاب دون أن ينطق بكلمة · كان كتابا مهما فى الفلسفة · فدهشت جدا ، فسألته :

ــ « لمـاذا تقرأ هذا الكتاب الصعب ، خاصـة

وأنه يتناول مادة ليست سهلة . اذا كنت تريد دراسة الفلسفة ، فلماذا لا تلتحق بالجامعة ؟ » .

اجاب لاری على سـؤالي بجدية .

قـال :

ـ « انا اريد معرفـة كل شيء ، وليس الفلسفة فقط ، كما أنني اود اكتشاف كل شيء بنفسي » .

قـلت :

ـ « لكنك صغير جدا . وربما تكون في حاجـة لبعض المساعدة » .

لم يقل لاري شيئا لفترة طويلة . وعندما كنت على وشك الانصراف ، رفع بصره الى أعلى وقال :

ـ « عندما عدت من الحرب ، كان الجميع يريدون مني أن التحق بالجامعة . لكنني خلال الحرب أصبحت رجلا مختلفـا . واصبح اصـدقائي يبدون اصغر مني بكـثير » .

قــلت :

ـ « أعرف ما تقصده • لكن الأساتذة المتخصصون بامكانهم مساعدتك • فربما تقع فى بعض الأخطاء » •

ابتسم لارى وقال :

ـ « لا يهمنى أن أخطىء • فمن المحتمل اكتشاف المزيد من الأمور اذا وقعت فى خطأ » •

كان لارى على يقين تماما بأنه يفعل الصواب •

قــلت له :

ـ « لكن اليوت يعتقد أنك تضيع وقتك ، كما تعرف » •

ابتسم لارى ثانية وقال :

ـ « أجل ، أعرف ذلك • من المحتمــل أننى أضيع وقتى ، لكننى لا أظن ذلك • فأنا متأكد بأننى أمتع نفسى » •

لم يكن لارى على استعداد للجدال معى ، فقد

لاحظت أنه يرغب فى مواصلة القراءة ، فتركته لشأنه ·

وبعد مرور ساعة عدت الى ذلك الجزء من المكتبة ، فوجدت لارى لا يزال يقرأ ·· تناولت غدائى وبعد ذلك بفترة طويلة عدت الى المكتبة فترة ما بعد الظهر ، فوجدت لارى مازال على نفس الكرسى يقرأ نفس الكتاب · كان ذلك اسلوبا غريبا فى تضييع الوقت ·

وفى الوقت الذى يعتقد فيه اليوت أن لارى شاب كسول ، فانه فى حقيقة الأمر كان يقوم بعمل جاد · لكن لارى لم يكن يذكر ذلك للناس · فقد كان لا يهتم بما يظنونه عنه ·

عندما حل موعد مغادرتى لشيكاجو ، ذهبت لوداع السيدة « برادلى » و « اليوت » · فقد كانا فى غاية اللطف معى ، خاصة وقد قمت بعدة زيارات لمنزل السيدة برادلى · كانت ايزابيل موجودة معهما

عندما دخلت الغرفة • أحسست انها ليست على ما يرام ، كما احسست أيضا أنها ترغب فى التحدث معى • وبينما كنت اغادر المكان قلت لها :

ـ « ما رأيك فى التمشى معى قليلا ، يا ايزابيل ؟ فالجو اليوم جميل • وكم يسعدنى أن أتمشى مع فتاة جميلة مثلك » •

انفرجت أسارير ايزابيل ، وخلال دقائق كنا نسير عبر شارع مزدحم • وفجأة تكلمت ايزابيل :

ـ « حقيقة أنا اود أن أتحدث معك ، دعنا نجلس فى مقهى بأى مكان » •

وافقت وتوجهنا الى أقرب مقهى وجلسنا وطلبنا قهوة • ظلت ايزابيل صامتة فى البداية ، لكنها تكلمت فى النهاية •

ـ « أنا أريد نصيحتك • فأنت مؤلف ، ولاشك أنك تتفهم الناس » •

قلت :

ـ « لا اعتقـد ذلك ، لكننى مغرم بالتعرف على ما يشغلهم · انت قلقة على لارى ، أليس كذلك ؟ هل حدث بينكما شجار ؟ » ·

ضحكت ايزابيل وقالت :

ـ « شجار ؟ هل حدث ورأيت لارى غاضـبا بأى حـال من الأحوال ؟ لا أحد يستطيع ان يتشـاجر مع لارى » ·

توقفت ايزابيـل عن الكـلام للحظـة ثم قالت بسرعـة :

ـ « لارى يرغب فى السفر » ·

اندهشت جدا وقلت :

ـ « السـفر ؟ الى أين ؟ هـل قرر الالتحـاق بالجامعـة ؟ » ·

تطلعت الى اصبع ايزابيـل فوجدتها مازالت تلبس الخـاتم الذى أهداه لها لارى · لاحظت ايزابيل نظرتى ، وقالت :

ـ « لارى سيغادر امريكا · ومن المحتمل ان يبقى سنتين بالخـارج ، لكننى سأنتظر عودته · »

سألتها ببطء :

ـ « أترغبين فى سفره » ·

قالت ايزابيل :

ـ « كلا ، كلا بالطبع ، لكننى ابغي سعادته ولا اود أن أكون أنانية » ·

ـ « لا اظن أنك أنانية · بل أعتقد أنك دائما ما كنت انسانة عطوفة جدا ومعطاءة ، يا ايزابيل لكن الى أين سيسافر لارى ؟ » ·

ـ « الى باريس » ·

ـ « باريس ! » · كررتها عدة مرات دون أ تصيبنى دهشـة كبيرة · فقد عشت فى باريس عندم كنت شابا · فهى أنسب مكان يعيش فيه الشباب فمن الممكن ان يتمتع فيها لارى بحريته · وبامكانه أ يدرس ولن يكون فى حاجة لكثير من النقود ·

قلت لايزابيل :

ــ « اعتقد ان لارى سيكون سعيدا فى باريس . لكن ماذا ستفعلين أنت ؟ » .

ــ « سـانتظره حتى يعود . صحيـح أننى اود الزواج من لارى الآن ، لكننى اوده ان يكون سـعيدا كذلك . وانـا عادة ما أحصل على ما أريد . وأنا اريد لارى ، وسوف يعود » .

وتساءلت بينى وبين نفسى . ما هو الشىء الأكثر اهمية بالنسبة للارى ــ حبه لايزابيل ام حاجته للتفكير وقراءة الكتب ؟ ان عامين لا يكفيـان لمعرفة كل شىء . وفكرت كذلك فى جراى ماتيورين ، لأنه من المحتم ان يلازم ايزابيل فى شيكاجو اثناء وجود لارى فى باريس .

جلسـنا نتناقش انا وايزابيل لفترة قصيرة فى موضوعات أخرى . وهى فتاة لطيفة جدا ، وكم تمنيت ان تكون سعيدة . لكن لارى كان شخصا يصعب فهمه جـدا .

حان موعد عودتى للفنـدق . ودعت ايزابيـل

وأخذت أراقبهـا وهى نمشى مبتعدة عنى · وسـألت نفسى · هل ستتزوج ايزابيل من لارى ؟ وهل سيكونان سـعيدين ؟ ·

عدت الى الفندق · وخلال ساعات قليلة كنت قد غادرت شيكاجو · وأخذت افكر فى الناس الذين قابلتهم هناك · وكان أغلب تفكيرى فى لارى ، فقد كان شـابا غريب الشأن · ماذا يمكن أن يحدث له فى باريس ؟ وهل سيجد ما يبحث عنه هناك ؟

لم أجد اجابة لهذه الأسئلة لمدة عام تقريبا !

(٣)

رد ايزابيـــل

في السـنوات التاليـة كنت أعيش في باريس • وكنت سـعيدا لعودتي اليها مرة ثانيـة ، فقد قضيت فيها عدة سنوات سعيدة في شبابي • صحيح انني لم أعد شابا ، لكن لا شيء تغير في باريس •

تجولت على مهل في الشوارع جلست في الحدائق العامـة ، اتطلع الى الطلبـة والأطفـال والشيوخ • الجميع يتكلمون ويستمتعون بأشعة الشمس • عندما شعرت بالتعب جلست على مائدة خارج أحد المقاهي • كان الشارع مزدحما بأناس سـعداء ، والمقاعد خارج

المقاهي مليئة بالشباب ، يضحكون ويتكلمون . كم هم محظوظون بأن يكونوا شبابا ، وفي باريس !

فجـاة سمعت أحدا ينـادي باسمي تلفت حولي بسرعة . رايت رجلا طويلا أسود العينين بني الشعر . عندما ابتسم تعرفت عليه . اذن مازال لاري في باريس.

قلت في دهشة :

ـ « اذن فقد جئت الى هنا أخيرا . ماذا تفعل الآن ؟ اجلس وأحك لي » .

قال لي وهو يجلس :

ـ « أنا لا أعمـل شيئا مفيدا . أحب مراقبـة الناس والتحدث معهم . وبالطبع اقرا كثيرا من الكتب. أقضي معظم وقتي في المكتبـات . أعيش عيشة فقيرة ، لكني أستمتع بوقتي » .

سعدت لسماع لاري يتحدث عن استغلال وقته بشكل طيب .

ســـألته :

ـ « هل كتبت ايزابيل لك ؟ » ٠

فقـــال :

ـ « نكتب لبعضنـــا من حـــين لآخر ٠ ستحضر ايزابيل الى باريس مع والدتها العام القادم ٠ سوف يقيمون مع اليوت ٠ سأستمتع بمصاحبتهم لمشـــاهدة معالم المدينة » ٠

ســـألت لارى :

ـ « هل ترى اليوت كثيرا ؟ » ٠

كان اليوت يعرف الكثـــيرين فى باريس ، لكنهم بالطبع من الأثرياء جدا ٠

ابتسم لارى وقال :

ـ « لقد كتب لى اليوت ذات مرة ٠ دعانى لتناول الغداء معه ، لكننى لم اذهب ، لأن ملابسى ليســـت على ذلك القدر من الأناقة التى تتناسب مع اصدقاء

البيوت الأثرياء . فانا لا اعتقد أننى الشخص الذى يهتمون بمعرفته » .

قلت :

ـ « اعتقد انك على صواب يا لارى . انا لست رجلا ثريا ، فهل تتناول الغداء معى ؟ » .

تناولنا الغداء معا ، ولاحظت أن لارى يتحدث الفرنسية بطلاقة ، وأخبرنى أنه سعيد جدا فى باريس. صحيح أنه كان يرغب فى رؤية ايزابيل ثانية ، لكنه سعيد بدونها .

بعد الغداء تمشينا على مهل فى الشارع لفترة قصيرة ، استأذن لارى بعدها لكى يذهب الى المكتبة المجاورة ، كان لارى يقضى وقته فى باريس بشكل جيد ، وانا متأكد أنه لا يضيعه .

تركت باريس قبل أن تصل ايزابيل ووالدتها . وبعد فترة قابلت ايزابيل فى لندن وحكت لى عما حدث فى باريس .



لاحظت شيئين على ايزابيل · كانت ترتدى ملابس فرنسية غالية الثمن ، ولا تلبس الخاتم الذى اهداه لها لارى ·

سألتها :

ـ « هل استمتعت فى باريس ؟ وكيف حال لارى ؟ » ·

ابتسمت بسعادة وقالت :

ـ « باريس جميلة ، اضافة الى اننى رايت لارى أيضا ·· قابلنا فى المحطة ، وكان اليوت غاضبا بعض الشيء · كان لارى يرتدى ملابس قديمة وهذا ما جعله لا يقبل أى دعوة من دعوات اليوت · كما أن اليوت لم يكن يعرف حتى أين يقيم لارى » ·

سألتها :

ـ « هل كنت ترين لارى كثيرا ، عندما كنت فى باريس ؟ » ·

ـ « بالطبع . وكنا نقضى طيلة اليوم معا . كنـا نتمشى خلال الشوارع المزدحمة ونجلس خارج المقـاهى ونأخذ فى ملاحظـة كل النـاس الغرباء الذين وجـدوا طريقهم الى باريس » .

سـألتها :

ـ « هل قابلت أحدا من أصدقاء اليوت ؟ . لأننى أتصور ان اليوت كان يود أن تقابليهم كذلك » .

ـ « قابلنا أناسا كثيرين لدرجة أننى نسيت أسـماءهم » .

وضحكت ايزابيل ثم قالت :

ـ « كان اليوت عطوفا معى للغاية . أعطـانى نقودا لأشترى ملابس جديدة . فأصـدقاء اليوت أثرياء جدا كما تعرف ، ويلبسون ملابس فاخرة ، وكان هو يريدني أن ألبس مثلهم » .

كنت أعرف أن اليوت كريم جـدا ، ويجب أن يهدى أصدقاءه هدايا جميلة . وكنت أعرف كذلك انه

كان يود ايزابيل أن تلتقي مع أصدقائه الأثرياء بقدر ما يمكن ، أملا في أن تنسى لارى • ومن المحتمل أن ذلك قد حدث •

سألت ايزابيل بفضول :

ـ « لكن ماذا عن لارى ؟ وهل قابل كل هؤلاء الأثرياء أيضا » •

قالت ايزابيل وهي تتحاشى النظر الى :

ـ « كان لارى يتواجد معنا في بعض الأحيان » •

كان هناك سؤال آخر أردت أن أسأله اياها ، فقلت :

ـ « هل عرفتهم أين يسكن لارى ؟ »

علما بأن لارى لم يقل لي أبدا أين يسكن •

بدت ايزابيل حزينة ثم قالت :

ـ « لم يكن لارى يريد أن يخبرني أين يقيم •

لكننى أجبرته على أن يأخذنى الى حيث يقيم ، وكم حزنت لذلك ٠ فقد كان مكانا فقيرا جدا ٠ غرفة صغيرة تختلف اختلافـا كبيرا عن تلك البيوت الجميلة التى يسكنهـا اليوت وأصـدقاؤه ٠ وفجـأة أيقنت أننى لا استطيع العيش هذه العيشة الفقيرة ٠ فالمنازل الجميلة والملابس الفاخرة هامة بالنسبة لى ، وبالتالى ٠٠٠ »٠

رددت كلمة « وبالتالى » ثم سألتها :

ـ « هل اكتشفت ماذا يفعل لارى ؟ »

قـالت ايزابيل :

ـ « نعم ٠ كما أننى اكتشفت أنه سـعيد دون وجودى معه ٠ وانتابنى اعتقاد أنه يعيش قصـة غرام مع فتاة أخرى » ٠

قـلت لها :

ـ « أنا متأكد أن لارى يحبى يا ايزابيل » ٠

قـالت :

ـ « لا أدرى . لكنه لا يرتبط بأى فتاة أخرى .
فهو يسكن بالقرب من المكتبات الكبرى ويقضى معظم
وقته فيها . لارى ماهر جدا . ويستطيع قراءة كتب
بعدة لغات الآن . وانتابنى اعتقاد بأنه لا يريدنى .
لذا سألته عما اذا كان قد انتهى من مهمته الآن » .

فابتسم لارى وقال :

ـ « انتهيت ؟ لقد بدأت توا فقط . ولا أستطيع
التوقف . ربما يستغرق ذلك عشر سنوات حتى
إكتشف ما اريد أن اعرفه . لكننى مازلت أرغب فى
الزواج منك يا ايزابيل . لماذا لا تعيشين معى هنا فى
باريس ؟ » .

تطلعت الى وجه ايزابيل وألقيت نظرة على
اصبعها . لم يكن خاتم لارى موجودا . فعرفت ماذا
كانت اجابتها .

قلت :

ـ « وبالتالى رفضت أن تنتظرى أكثر من ذلك .
وأعدت الخاتم اليه » .

احمر وجه ايزابيل وقالت :

ــ « أنت تعتقد أننى غبية وجشعة ، لكن ما الذى كان فى استطاعتى عمله ؟ فقد اشترى لى اليوت الملابس الفاخرة وعلمنى حب الأشياء الجميلة ، ولم استطع تصور أن أحياة كفتاة بائسة » .

سالت ايزابيل :

ــ « لكن لارى لديه بعض المال ، أليس كذلك ؟ » .

ــ « لديه ما يكفى لشخص واحد . الرجال يعملون بجد واجتهاد اذا كانت لديهم النية للزواج . لو أننى تزوجت لارى ، فسوف يسخر منى كل الأصدقاء . كما أن اليوت لم يرغب أبدا فى زواجى من لارى » .

قلت بابتسامة :

ــ « إذن ، فاليوت سعيد . لكن هل أنت سعيدة يا ايزابيل ؟ أمازلت تحبين لارى ؟ » .

أجابت ايزابيل بغضب :

ـ « بالطبع مازلت احبـه • لكن ألا ينبغي على الشـباب أن يضعوا الحب عادة فى المرتبـة الأولى ؟ وما الذى يتحتم على أن أفعله أنا بينما هو يقضى اليوم بطوله فى القراءة ؟ »

قلت لايزابيل :

ـ « حب المعرفة لبعض الناس أكثر أهمية من حب شخص آخر • وأعتقد أن لارى من ذلك الصنف • وسوف يفعل أى شيء ليصل الى ما يريد معرفته » •

ـ « أى شيء ؟ حتى لو أغضب أصدقاءه ؟ »

ـ « نعم • حتى لو أغضب أصدقاءه • هل تسبب لارى فى تعاستك يا ايزابيل ؟ »

أومأت ايزابيل برأسها وبدت حزينة غاضبة •

قـلت لها :

ـ « أتعرفين ، عندما يرتبط الانسـان بحب ، ولا تسير الأمور فى طريقهـا الصحيح ، يعتقد بأنه لن

يعرف السعادة مرة ثانية على الاطلاق . لكنك ستسعدين وانا متأكد من ذلك . سوف تغادرين باريس وتعودين الى شيكاجو ، وسيكون المحيط فاصلا بينك وبين لارى » .

ـ « وهل يحدث ذلك اختلافا ؟ » .

قلت برقة :

ـ « أعتقد ذلك ، حاولى يا ايزابيل » .

غادرت ايزابيل باريس وعادت الى شيكاجو . شعرت بالأسف من أجلها . كانت ايزابيل فتاة عادية ، تريد أن تسعد وتتزوج شأنها شأن صديقاتها فى شيكاجو . فى حين كان لارى شابا غريبا ، لم تستطع ايزابيلأن تفهمه .

وهكذا بقى لارى فى باريس . وكان اليوت يعيش فى باريس ايضا ، لكنه لم يكن يقابل لارى بطبيعة الحال . رأيت اليوت عدة مرات عندما كنت أزور باريس ، لكننى لم أقابل لارى أبدا . ومرت الأيام ولم أر كلا من ايزابيل أو لارى لمدة تقارب عشر سنوات .

(٤)

الالتقاء مع ايزابيل وجراى ثانية

خلال العشر سنوات تلك واصلت السفر حول العالم والفت عدة كتب • التقيت مع أناس جذبوا اهتمامى واستمعت الى حكاياتهم • لكننى لم أنس مطلقا لارى داريل •

كنت اعود الى باريس من حين لآخر ، وغالبا ما كنت أرى اليوت هناك • سألته عن لارى ، لكنه لم يكن يعرف شيئا عنه •

قال لى اليوت :

ـ « من المحتمل أن لارى لا يزال يعيش فى

باريس ، لكننى بالطبـع لم أقابله أبدا • وأعتقد انه يعيش حياته بشكل سيىء جدا • وأنا سعيد برفض ايزابيل الزواج منه » •

كنت على معرفـة ببعض الفنـانين الفقراء فى باريس ، وأحيانا كانوا يخبروننى ببعض الأخبـار عن لارى • بحثت عنه فى المقاهى ، لكننى لم أعثر عليه • ربما يكون قد غادر باريس •

لكن ماذا عن ايزابيل ؟ فأنا لم أرها ، لأنها عادت الى شيكاجو • وكم كان اليوت سـعيدا وهو يخبرنى بأنها تزوجت جراى ماتيورين ، ابن أحد رجال الأعمال الأثرياء فى العـام التالى لتركها لارى فى باريس • وقد حضر اليوت حفل الزفاف ، وأرانى الصور •

قـال اليوت :

ـ « انهما ثنائى فى منتهى السـعادة • وأنا سعيد لأن ايزابيل عادت لعقلها أخيرا • أما جراى فهو يعمل باجتهاد وناجح جدا فى عمله • فى يوم من الأيام سوف

يمتلك أعمال والده • ومن ثم ستصبح ايزابيل وجراى من الأثرياء جدا » •

بعد مضى ثلاث سنوات رأيت اليوت مرة ثانية •
قــال اليوت :

ــ « جراى وايزابيل لديهما بنتــان الآن • وهو يزداد ثراء كل عام ويشترى الملابس الفاخرة لايزابيل ، ولديها كميــة من المجوهرات • ايزابيل امرأة جميلة ، كما أنهــا هى وجراى فى ريعــان الشــباب واثرياء ، وبالتالى فهما فى منتهى السعادة الآن » •

رغم تمتع اليوت بثراء بالغ ، الا أنه كان يتقدم فى السن • وكلما كانت السنوات تمر ، كان يخشى أن يهمله أصدقاؤه الأثرياء أصحاب المراكز المرموقة ، لأن هؤلاء الناس يودون أن يكونوا على صلة بالأثرياء من الشباب وليس العجائز من أمثال اليوت •

عندما قابلت اليوت ثانية كان يبدو مكتئبا •

قــال لى :

ـ « لقد تبدلت باريس ، وكذلك لندن • فهاتان المدينتان تمتلئان بأناس يمتلكون أموالا كثيرة ، لكنهم لا ينتسبون الى عائلات كريمة • كل اهتمامهم ينصب على تبادل المصـالح وليس الاستمتاع بالحياة أو اقتناء الأشياء الجميلة • يحضرون الى الحفلات التى أقيمها ، لكنهم لا يتقربون الى ، لأننى أصبحت رجلا عجوزا » •

قرر اليوت ان يترك باريس • وأخبرنى أنه سيقيم فى جنوب فرنسا بالقرب من البحر • قال لى :

ـ « منزلى الجديد ليس كبيرا ، لكنه مريح جدا ، وباستطاعتى اقامة حفلات فيه ، لكنى لن أدعو سوى الناس الذين يستمتعون بالحديث معى • سأعيش فى هذا المنزل معظم وقتى تقريبـا ، ومن المحتمل أن أقضى شهرين أو ثلاثة من كل عام فى باريس » •

كان اليوت يدرك بحدسه مستقبل منطقة جنوب فرنسا وسرعان ما أصبحت ذات شهرة كبيرة ، والكل يرغب فى أن يكون له بيت هناك ، وهكذا أصبح البوب محاطا بالعديد من الشخصيات ذات الشهرة • وكانت

الحفــلات التي يقيمها ممتعــة جــد.. ، والكل ســعداء لتعرفهم على اليوت ٠

فى نهاية عــام ١٩٢٩ ، ذهبت لزيــارة اليوت ٠ وعام ١٩٢٩ ، كان عاما سيئا بالنسبة للأمريكيين ، حيث حلت أزمة اقتصــادية شــديدة فقــد بسببها كثير من الأثرياء ثرواتهم التى تعبوا كثيرا فى جمعها ٠

فجأة تبدلت الظروف وأصبح الأثرياء فقراء خلال يوم واحد ، وكذلك رجــال الأعمــال الذين أصبحوا لا يملكون مالا أو أعمالا ، وشمل ذلك جراى ماتيورين ووالــده ٠

قال اليوت :

ـ « وفجأة داهم المرض والد جراى ومات منذ شهر مضى ٠ وأفلس جراى وايزابيل ، وأضطرا لبيع منزلهما وممتلكاتهما الثمينة » ٠

ســألته :

ـ « وماذا يفعل جراى وايزابيل الآن ؟ » ٠

اجـابنى :

ـ « جراى لا يفعل شيئا الآن · وسوف يتركان شيكاجو ليعيشـا فى الريف بهـدوء · كما أن والدة ايزابيل توفيت فى العام المـاضى ، وبالتالى قاما ببيع منزلها · آمل أن يوفق جراى فى الحصـول على عمـل فى القريب العاجل » ·

كان من الصعب جدا الحصـول على أى عمل فى أمريكا خلال تلك الفترة الصعبة · شعرت بالأسى من أجل ايزابيل · لقد تزوجت من رجل ثرى ، لكنـه الآن فقير · وشعرت بالأسف أيضا من أجل جراى ، فهو لم يكن صاحب خبرة كبيرة ، رغم أنه كان رجل أعمال ناجح · كان جراى يعشق العمل بلا كلل ، لكنه الآن فقد كل شىء ·

لكن الحال لم يكن كذلك بالنسبة لاليوت فمازال ثريا ، وأصبح من الواجب عليه أن يظهر مدى كرمه · عندما قابلته فى زيارة تالية بدا فى منتهى السعادة ·

قـــال :

ـ « لقد تنازلت عن شقتي في باريس لايزابيـل وجراى · سيكونان سـعداء هنـاك مع طفلتيهما · فأنا أفضل العيش هنا بالقرب من البحر · وسـوف أقوم بزيارتهما من حين لآخر بالطبـع ، أنا هنـا اشـعر بسعادة كبيرة » ·

وحقيقة كان اليوت فى منتهى الكرم · فلم يتوقف عند حب الأثريـاء لكنـه تخطى ذلك بمسـاعدتهم فى محنتهم · رتب لهما كل شيء وقـام بالحـاق الطفلتين بمدرسة راقية فى باريس ·

بعد مضى عدة شهور ، قمت بزيـارة لباريس · وعلى الفور اتصلت تليفونيا بايزابيل ودعتنى لتنـاول الشاى عندها بعد الظهر ·

لم أكن قد رأيت ايزابيـل منذ عشر سنوات · وتساءلت عما اذا كانت قـد تغيرت · فعندما قابلتهـا فيما مضى كانت شابة يافعة ، أما الآن فهى امرأه ولديها طفلتـان ·

عندما سرت فى الغرفـة ، دهشت للغايـة • فقد تغيرت ايزابيل تماما • كانت ترتدى رداء أسود انيقا ونحيفة جدا • ورغم أن وجهها كان أكثر نحافة الا أنه كان أكثر جمالا مما كان عليه من قبل • وأمكننى رؤية بعض المـاكياج على وجهها •

قالت ايزابيل :

ـ « كم هو لطيف أن أراك • سيحضر الأطفـال حالا ، وكذلك جراى » •

قـلت لها :

ـ « كم تبدين جميلة جدا ، يا ايزابيـل • وكم أنا سعيد لرؤيتك • لكنك لا تبدين كامرأة فقيرة • »

أجابت ايزابيل :

ـ « بل أبدو كذلك ، فأنا وجراى نعيش فى نفس المستوى الذى كان عليه لارى منذ عشر سنوات • مع الأخذ فى الاعتبـار أننـا أربعـة الآن • أنـا وجراى والطفلتـان » •



تطلعت فى أرجاء الغرفة بتمعن ، فوجدتها مليئة بالأشياء الثمينة • كما أن ايزابيل كانت ترتدى فستانا غالى الثمن • كما أن الطفلتين فى مدرسة متميزة ، ولديها خدم •

كان من الواضح أن اليوت يقدم لجراى وايزابيل ما يكفيهما من نقود ، ولم يكن يسمح لابنة أخته ان تصبح فقيرة •

أدركت ايزابيل ما يجول فى ذهنى •

فقالت :

ـ « فى الحقيقة ان خالى اليوت كريم معنا • فجراى لم يعثر على وظيفة بعد • مرض مرضا شديدا عندما فقد أمواله ، ومازال يعانى من صداع فظيع • من الصعب بالنسبة له أن يجد عملا » •

قلت :

ـ « أنا آسف لسماع ذلك » •

قدمت لى ايزابيل الشــاى ، وبدأنا نتحــدث عن الناس الذين نعرفهم .

بعد ذلك قالت ايزابيل :

ــ « هل لديك أى اخبار عن لارى ؟ » .

قــلت لهــا :

ــ « لا اعرف اى شىء . هــل تعرفين انت اى شىء ؟ » .

قــالت :

ــ « يعنى ، نحن على معرفة بمدير البنــك الذى يتعامل معه لارى فى شيكاجو . إحيانا كان لارى يكتب له ليرسل له نقودا . كانت خطاباته ترد من مكان غريب بعيد جدا » .

أردت أن اســأل ايزابيل عن شىء آخر .

قــلت :

ـ « هل تتمنين الآن ، لو أنك كنت قد تزوجت لارى » ٠

ابتسمت ايزابيل لى وقالت :

ـ « أنا سعيدة جدا مع جراى ٠ فهو لطيف جدا معى ٠ كما أنه يحبنى ٠ ولدينا طفلتان جميلتان » ٠

لاحظت ان ايزابيل لم تجب حقيقة على سؤالى : فلم أتفوه بأى شىء آخر ٠ وما ان قالت ايزابيل ذلك حتى وصل الأطفال ٠٠ طفلتان رقيقتان جميلتــان ، لكن ليستا فى جمال ايزابيل ٠

عندما دخل جراى الغرفــة بعد برهة قصــيرة ، أصبت بدهشة شديدة فقد بدا أكبر من سنه وازداد وزنه بعض الشىء ٠ كمــا كانت هنــاك مسحــة من التعاسة تكسو عينيه ٠ كان صــوته عاليا ويتحدث فى أمور ليست لها أهمية ٠

عندما تركتهما ، طلب منى جراى وايزابيل أن أعاود زيارتهمــا ٠ لم نتقــابل بعد ذلك الا عدة مرات

قليلة • أحيانا كنت اقوم أنــا بزيارتهمــا فى البيت ، وإحيانا كنا نذهب معا الى المسرح • استمتعت بالفترة التى عشتها فى باريس، وأصبح جراى وايزابيــل من افضل الأصدقاء • لكننا لم نتحدث أبدا عن لارى • ولم يكن أحد فى باريس يعرف أين يوجد لارى •

(٥)

عـودة لارى الى باريس

عشت فى باريس عدة فترات مختلفة من حياتى ٠ عندما كنت شـابا تعرفت على الكتـاب والفنـانين ، أما الآن وقد تقدمت فى السن ، فلدى بعض المعـارف الأثرياء مثل اليوت وبعض أصدقائه ٠٠ فى باريس من الممكن أن تجد كل أنواع البشر ٠ منهم من تركوا عائلاتهم ومنهم من هجروا أوطانهم وهـؤلاء يتكلمون لغاتهم مع أصـدقائهم ٠

ولأننى كاتب ، فقد كانت كل نوعيات البشر تثير اهتمامى ٠ كان الناس يسعدون جدا بالتحدث معى ،

طبا مبهم أنني قادر على مساعدتهم ٠٠ انا أحب مراقبة الناس والاصغـاء لهم وهم يتحدثون ، وأستطيع تذكر الموضوعات التي سمعتها منذ أربعين عاما ، أحيانا كنت أصغى للشباب يتحدثون عن نفس الموضوعات ، معتقدين أنهم يتحدثون عن أفكار جديدة فى حين أنني سمعتها كلها من قبل ٠

عندما أكون فى باريس ، أستمتع بالجلوس على الموائد الموجودة خارج المقاهى فى الأحياء المزدحمة بالمدينة، حتى يمكننى رؤية الناس وهم يسيرون فى الشـوارع ، أحيانا وحدهم ، وأحيانا أخرى مع أصدقائهم ٠ كنت أحب أن أتطلع الى وجوههم وأفكر فى أساليب حيـاتهم المختلفـة ٠

ذات مساء كنت جالسا خارج أحد المقاهى الكبيرة فى وسط باريس ٠ كان الوقت ربيعا ، وهو من أجمل الأوقات فى باريس ٠ كان الجو جميلا ودافئا ، وتبدو

السعادة والحيوية على كل شيء • كان ذهني صافيا وداهمني احساس بأن شيئا مثيرا سوف يحدث حالا •

مر شاب أمام المائدة التي أجلس اليها وابتسم لي • كان وجهه بني اللون من أثر الشمس واسنانه ناصعة البياض وله لحية كثيفة ، وملابسه قديمة وشعره في حاجة الى القص •

قال :

ـ « هاللو ، الا تذكرني ؟ » •

أجبته :

ـ « أنا لم اركِ في حياتي أبدا » •

وأعتقدت ان الرجل ربما يكون في حاجة لبعض النقود ، فاستفزني ذلك • لكنه ابتسم ثانية وقال :

ـ « انا لاري » •

تطلعت اليه بتمعن وصحت قائلا :

ـ « لاري ! اجلس وتناول شرابا » •

لم أكن قد رأيته بلحية من قبل ، وواصلت كلامى :

ـ « لم أتعرف عليك · منذ متى وأنت فى باريس ؟ هل ستبقى هنا ؟ » ·

فأجاب لارى :

ـ « أنا هنا لفترة قصيرة · شىء طيب أنك عدت الى باريس ثانيه » ·

طلبت فنجانا من القهوة للارى · وأخذت أتطلع اليه بامعان · ورغم أن عينيه كانتا صافيتين لامعتين الا أنه كان نحيفا جدا · وملابسه كانت تبدو مثل ملابس المتسولين · هل فقد كل ماله مثل جراى ماتبورين والغالبية من أثرياء أمريكا ؟ ربما يكون فى حاجة الى مساعدة ·

سألته :

ـ « هل فقدت كل نقودك ، يا لارى ؟ فأنا أعرف أناسا حدث لهم ذلك ؟ » ·



قــال لارى :

ـ « كلا • لكن لمــاذا تسأل ؟ » •

ضحكت وقلت :

ـ « ينبغي أن تنظر الى نفسك يا لارى • فأنت نحيف جدا • وبالتأكيد أنت فى حاجة لملابس جديدة •• بامكانى أن أقرضك بعض النقود » •

ضحك لارى بطريقته المعهودة التى أعرفها •

وأجــابنى :

ـ « لازال معى نقــود ، لكننى نســيت كيف أصرفها • فأنا عائد لتوى من الهند ، ولم أكن فى حاجة كبيرة للنقود هناك » •

ســألته :

ـ « ما الذى كنت تفعله فى الهند ؟ هل شاهدت كل المدن القديمة ، والقصــور الفخمة » •

ـ « بعضا منهـا · لقد عشت هنـاك خمس سـنوات » ·

ثم توقف لارى عن الكلام · وبدا لى أنه لا يريد أن يقول اى شيء آخر · فتطلعت اليه مليـا ، وقلت :

ـ « ايزابيـل فى بـاريس الآن · وهى تقيم فى شقة اليوت » ·

فقال لارى :

ـ « تزوجت جراى ، اليس كذلك ؟ » ·

انتابنى نوع من السعادة لكونه يعرف ذلك

وقـلت :

ـ « نعم · ولديها طفلتـان جميلتان · وأنا متأكد أنهم يرغبون فى رؤيتك » ·

قـال :

ـ « هـذا رائـع · وأنـا كم يسـعدنى رؤيتهم كذلك » ·

كان من الواضح أن لارى لم يكن سعيدا بزواج ايزابيل · لكنه كان يرغب حقيقة فى رؤية أصدقائه الاعـزاء ·

سـألنى لارى :

ـ « وماذا عن اليوت ؟ هل يقيم معهم ؟ أليس هو فى باريس الآن ؟ فهو يقضى كل ربيع هنا ، أليس كذلك ؟ » ·

ـ « كلا ، ليس فى باريس · لقد أعطى سقته لايزابيل وجراى · وهذ الأول ربيع منذ اربعين عاما لا يأتى فيه الى باريس » ·

سـألنى لارى :

ـ « اذن فهل هو مريض ؟ » ·

أجبتـه :

ـ « انه ليس على ما يرام · اليوت الآن فى السبعين من عمره · وهو يكره أن يكون عجوزا ، لأن

أصدقاءه فى باريس يذكرونه بذلك • والشبان يجعلونه يشعر بالأسى ، لأنه ليس شابا مثلهم » •

قـال لارى :

ــ « مسـكين اليـوت • كان مولعـا بحـب الحفـلات » •

ــ « مازال يلتقى بالكثير من الناس • المهم أنك يجب ان تقـابل ايزابيل وجراى • لكن قبل ان تفعل ذلك ، يمكننى ان أعرض عليك اقتراحا » •

سـأل لارى :

ــ « ما هـو ؟ » •

ــ « أقترح عليـك أن تحلق ذقنـك ثم تشترى لنفسك بعض الملابس الجديدة • فايزابيل ترغب فى أن يكون أصدقاؤها فى منتهى الأناقة » •

قـال لارى :

ــ « عظيم جدا • غدا سأشترى بدلة جديدة •

لكن هل جراى وايزابيل يحبان باريس ؟ هل همـا سـعداء هنا ؟ » .

ـ « ايزابيل فى منتهى السعادة ، لكن جراى يبدو تائها هنا . فمنذ أن فقد امواله ، أصبح مكتئبا جدا . ورغم أنه لا يعمل إلا أنه يبدو مرهقا جدا . لكنـه هو وايزابيل سعداء جداً » .

قـال لارى .

ـ « وأنا سعيد جدا لذلك . أعتقد أن ايزابيـل ما زالت كما هى » .

قـلت له :

ـ « سـوف ترى أنها قد تغيرت » . لكننى لم اخبره بأنهـا أصبحت امرأة جميـلة ، ثم واصـلت كـلامى :

ـ « كما أنها لطيفة جدا مع جراى . وبدونها كان سيصبح تعسـا » .

حل الليل وشعرت بالجوع .

قـلت له :

ـ « هيا نتناول العشاء ســويا • فبعض الطعام قد يفيدك » •

فقــال لارى :

ـ « شــكرا لك • فأنــا لست على اســتعداد الآن » • ثم نهض وابنسم لى بطريقته الودودة •

قــلت لــه :

ـ « لا تنس زيــارة ايزابيــل وجراى • تعرف بالطبع أين يقيمان » •

ـ « لن أنسى ، لكن اعطنى فرصــة لشراء ملابس جديدة » • ودون أن ينطق كلمـــة أخرى ، انصرف لارى •

تذكرت انه كان دائما يترك أصدقاءه بهذه الطريقة المفاجئة لقد بدا لارى مختلفا ، لكنه لم يتغير كليــة • سعدت برؤيته • وتساءلت عما كان يفعل فى الهند • لم يذكر لى لارى عنوانه • وتعشمت أن أراه مرة أخرى فى القريب العاجل •

(٦)

لارى يســاعد جــراى

فى اليوم التالى رأيت جراى وايزابيل واخبرتهما بمقـابلتى مع لارى • لم نعرف عنه شـيئا لفترة من الوقت • وراودنى خـاطر انه ربمـا يكون قـد غادر باريس •

ذات مساء ممطر كنت اجلس مع جراى وايزابيل فى شقتهما • كان يوما ثقيلا مملا ، وفجـأة دهشـنا جميعا وابتهجنا عندما وجدنا لارى يصـل فجـأة • انتفضت ايزابيل واقفة واندفعت نحوه • ولاحظت انها كانت تريد أن تصرخ من فرط السعادة • وشـد جراى على يدى لارى •

وقـــال :

ـ « أنا سعيد لرؤيتك ، يا لارى . دعنا نتناول شرابـا » .

قـال لارى :

ـ « مجرد فنجان من الشاى » .

تكلم لارى بهدوء وسرعان ما شرع الجميع يتكلمون عن الأيام الخوالى . كنت مندهشـا تماما من الفرق بين جراى ولارى . فالاثنـان فى نفس العمـر ، لكن جراى كان يبدو أكبر بعشر سنوات من لارى . وزاد وزنه ، كما أن مسحة من الحزن كانت تكسـو وجهه الأحمر وعينيه .

فى حين كان لارى لايزال نحيفا مثل فتى شاب . بشرته بنية اللون ويتمتع بصحة جيدة ، وعيناه صافيتان كما أنه حـلق لحيتـه وقص شـعره وارتدى ملابس أنيقة .

قال جراى بصوت عال :

ـ « قل لنا يا لارى عما فعلتــه ! • هل كنت تعيش فى باريس طوال تلك الفترة ؟ » •

أجــاب لارى :

ـ « كلا • قمت بزيارة المــانيا واسبانيا أيضا • »

ســألته ايزابيــل :

ـ « ما هى الفترة التى قضيتهــا فى أســبانيا ؟ فدائما ما كنت ارغب فى الذهــاب الى هنــاك • كيف ســافرت ؟ » •

كان جراى وايزابيل يتحدثان كطفلين مبهورين ، وسألا لارى الكثير من الأسئلة • أجاب لارى على بعض اسئلتهم فى هدوء ، بينمــا كان ذهنه شاردا الى بعيد فيما يبدو •

فى النهاية اخبرهم أنه كان فى الهند لمدة خمس ســنوات •

سـألته ايزابيل :

ـ « ما الـذى فعلتـه فى الهنـد طيـلة الخمس سـنوات ؟ » .

كان هذا هو السؤال الذى كنت أريده من لارى أن يجيب عليه .

قـال لارى :

ـ « آه ، كنت امتع نفسى ليس الا . سـافرت عبر أرجاء الهند وتعلمت الحديث بعدة لغات هندية . ثم ذهبت الى مكان جميل جدا وسط الجبال ، التى تكسو سفوحهـا اشجار خضراء وتتخللها عدة أنهـار هادئة . عشت هناك مع رجل حكيم . كنـا على بعد اربعة اميـال من أقرب مدينـة . مكثت هنـاك مدة عـامين » .

قالت ايزابيل بصوت عال :

ـ « لمدة سنتين ! ماذا كنت تفعل طوال هاتين السـنتين ؟ »

أجـاب لارى :

ـ « علمنى هذا الرجل الحكيم الكثير من الأمور. كنت اتفكر فى الحيـاة . تعلمت ان أكون هادئا ، وأن أصفى ذهنى من كل ما هو تعيس . لقد سـعدت حقيقة بالاقامة مع هذا الرجل » .

أبدى جراى شيئا من عدم الارتياح لعدم فهمه لارى . كما بوغتت ايزابيل أيضا باجابة لارى .

فقـالت :

ـ « لقد وهبت هذا الرجل الحكيم سنتين من عمرك ، فما الذى وهبه لك ؟

قال لارى بابتسامة :

ـ « الهدوء والسكينة » . ثم وقف بطريقتـه الرشيقة وقال :

ـ « يجب أن أنصرف الآن ، يا ايزابيل . لقد استمتعت كثيرا بلقائك أنت وجراى . ولسوف أراكما مرة ثانيـة » .

قـال جراى :

ـ « بالطبع ولابد أن تحضر لتنـاول العشـاء معنا • اخبرنا عن عنـوانك ، وسـوف أتصـل بك تليفونيـا » •

قـال لارى :

ـ « لا داعى لذلك • سوف احضر ثانية خلال يوم أو يومين » •

وكالعادة ، لم يخبرنا بمكان اقامته •

قـلت :

ـ « لدى فكرة • دعونا نتناول العشاء معـا ، مساء غد • فأنا أعرف مكانا رائعـا ، نستطيع أن نجلس فيه تحت الأشـجار ونتنـاول طعاما ممتازا ونتحدث عن الأيام الخوالى » •

وافق لارى ووعد أن يقابلنا هناك •

فقالت ايزابيـل :

ـ « كلا · تعال الى هنا أولا لنتناول شرابا · سوف نلتقي كلنا هنا الساعة الثامنة » ·

قـال لارى :

« عظيم جدا · لكن يجب ان أنصرف الآن » ·

غادرت الشقة معه ، وسرعان ما قال لى وداعـا وابتعد عن ناظرى · كنت أريد ان أسأل لارى العديد من الأسئلة · عما تعلمـه فى الهنـد ؟ وعن سر تلك السعادة البادية عليه · فربما يخبرنا بالمزيد عن سر تلك السعادة · وأنتظرت لقاءه اليوم التـالى بفارغ الصـبر ·

عندما قابلنا لارى مساء اليوم التالى حدث شيء غريب جدا لا استطيع تفسيره · ولابد أن احكى لكم عنه ، لأن لارى غير تماما حياة جراى وايزابيل ، فقد منحهما السعادة التى وجدها فى الهند ·

وصلت الى شقة جراى قبل الموعد بقليل · فقد كنت أريد ان أرى ما سـوف ترتدى ايزابيل · فأنا

اعلم أنهــا لابد أن تبدو فى منتهى الجمــال ٠ فنحن سوف نذهب الى مطعم فاخر ٠ وايزابيل دائما كانت تود أن تبدو بما ترتديه من ملابس ، كأجمــل امرأة فى اى مكان تذهب اليه ٠

لكن عندما دخلت ايزابيــل الغرفــة حيث كنت أنتظر ، فوجئت بأنها ترتدى فستانا بسيطا جدا ٠

قــالت :

ــ « انا آسفة ٠ لأننــا لن نستطيع الخروج ٠ فجراى مصــاب بصداع فظيع ، غالبا ما ينتابه فى هذه الآونة ، ويجب أن أبقى معه » ٠

ســألتها :

ــ « هــل هو فى الفراش ؟ هــل تنــاول أى مســكنات ؟ » ٠

ــ « كــلا ، لم يذهب الى الفراش ٠ لكنــه يجلس فى حجرة المكتب ، لدى بعض الأقــراص التى وصفها الطبيب ، لكنها لن تكون ذات جدوى » ٠

سرنا بهدوء الى داخل حجرة المكتب ، حيث كان جراى يجلس على كرسى مغمض العينين • كان من الواضح انه يعانى من ألم فظيع • وبينما كنا واقفين نراقب جراى بأسى ، وصل لارى •

قال بصوت رقيق :

ـ « ربمـا كان فى اسـتطاعتى مسـاعدتك ، يا جراى » •

فرد عليـه جراى :

ـ « شكرا يا لارى ، ليس فى استطاعة أحد أن يساعدنى • ارى ان تخرجوا للعشاء ، وأتركونى هنا • أحيانا اشعر بأن هـذا الألم يكاد يقتلنى • وكم أتمنى أن يحدث ذلك » •

قال لارى بعذوبة :

ـ « أعتقد انه بامكانى مساعدتك » •

ـ « كيف يمـكن أن تسـاعدنى ؟ هـل أنت طبيب ؟ » واغلق عينيه •

ـ « كلا ، ولكنك أنت طبيب نفسك » .

ســأله جراى :

ـ « ماذا يعنى ذلك ؟ » .

لم يقل لارى شيئا ، لكنه أخرج قطعة عملة فضية من جيبه ووضعها فى راحة يد جراى .

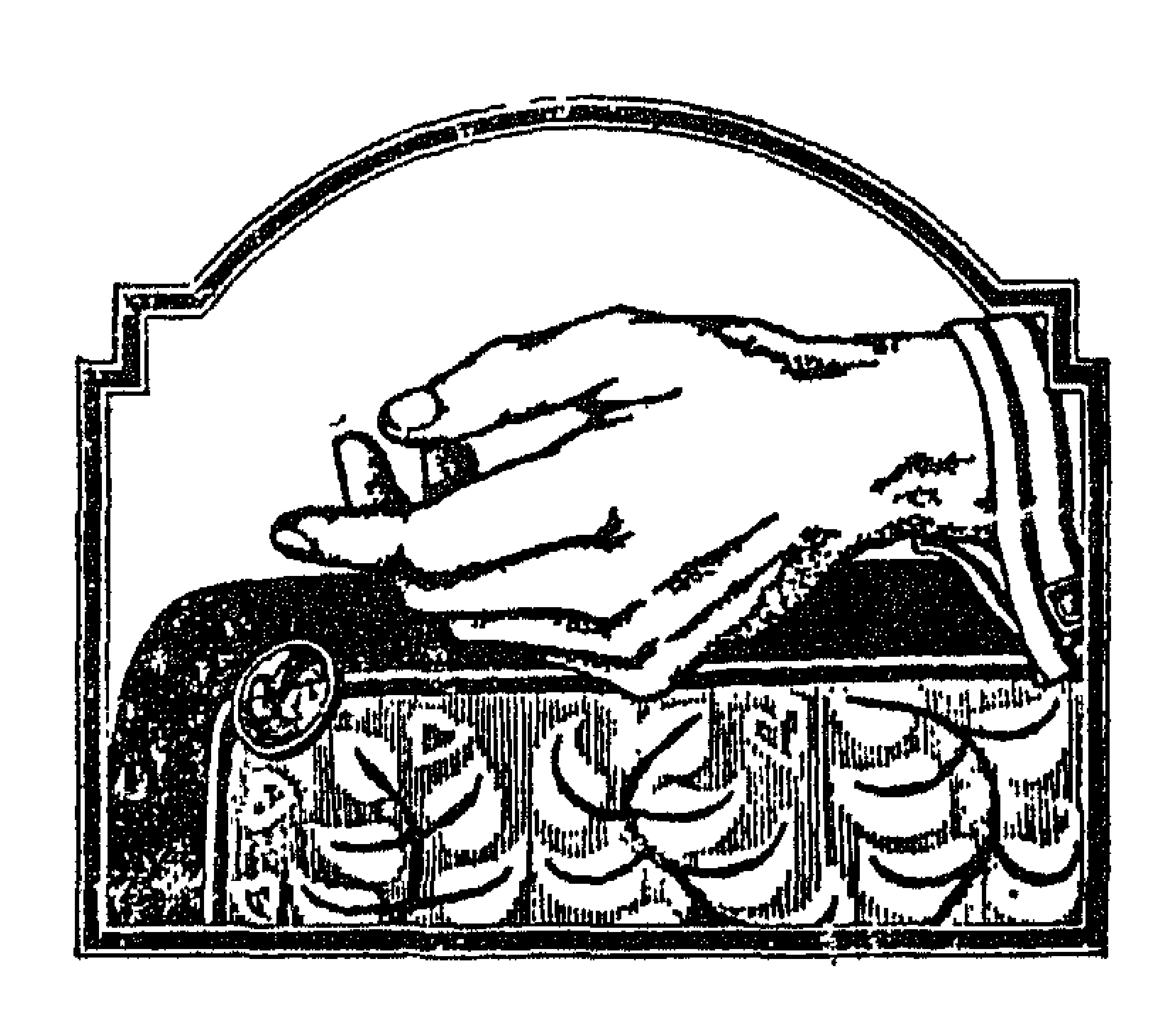
ثم بدأ يتكلم بهدوء .

ـ « أقبض عليها برقة ، فى الوقت الذى سأعد فيه حتى عشرين . بعدها ستنفرج قبضــة يدك تلقائيا وستقع قطعة العملة على الأرض . »

نفذ جراى ما قاله له لارى . بينمــا أخذت أنــا وايزابيل نراقب بعناية شديدة . وببطء وبينما كان لارى يعد ، انفرجت قبضــة جراى ، وسقطت قطعــة العملة على الأرض . وفتح جراى عينيه باندهاش .

وقــــال :

ـ « أنــا لم أفعل ذلك » .



واصل لارى حديثه وقال :

ـ « الآن ، ها هى قطعة العملة . اجلس باسترخاء وأقبض على قطعـة العملة مرة ثانيـة . أغلق عينيك وسوف تنام . بعد ست دقائق سوف نستيقظ . ولن نشعر بالألم مرة ثانية ! »

وتحقق كل ما قاله لارى . عندما استيقظ جراى كان الألم قد زال .

فقال جراى : « انا أشعر بتحسن هيا يا ايزابيل ارتدى أحسن ملابسك لأننا سنخرج الآن » .
صاحت ايزابيل :

ـ « هذا شىء رائع يا لارى . هل تعلمت ذلك فى الهند ؟ » .

قـال لارى :

ـ « نعـم . والآن أسرعى يا ايزابيـل ، فأنا جـائع » .

وهكذا خرجنا كلنا لتناول العشاء . قضينا وقتا

ممتعا ، وحاولت ايزابيـــل أن تعرف المزيد عما فعله لارى ، لكنه لم يخبرها الا بالقليل ·

قـــال جراى :

ـ « لو أن لارى يستطيع ايقاف هذا الصداع ، فسوف يكون بامكانى ان أعمل ثانية » ثم قال لى :

ـ « هل تعتقد أنه يستطيع ذلك ؟ » ·

لم أعرف ماذا أقول ، فقد كان من الواضح أن صداع جراى الفظيع قد زال تماما ·

بعد عشرة إيام أصاب جراى صداع آخر فظيع · ذهب اليه لارى ليراه · فعل نفس ما فعله من قبل · وزال الصـــداع خلال فترة قصيرة · كان جراى سعيدا جدا وشعر بأنه أصغر من سنه بعشر سنوات · وأصبح فى امكانه أن يعمـــل ويحقق حيـــاة أســـعد لايزابيـــل وأطفاله · كان مثل رجل مات ، ثم وهب حياة جديدة·

(٧)

صــوفى ماكــدونالد

كانت فترة الربيع التى قضيناها فى باريس من أسعد الفترات بالنسبة لنا · نحن الأربعة · سافرنا الى الأماكن الريفية القريبــة من باريس ومتعنا أنفسنا مثل الأطفــال · كان جراى قــد أصبح على ما يرام أخيرا ، لكنه أراد أن يستمتع بأجــازة قبل أن يبدأ العمل · وكان من الجميل أن نرى مدى ســعادة جراى ومدى حبه لايزابيل ·

لم يكن لارى يتكلم كثيرا · لكننــا كنا نستمتع برؤيته · كان هو وايزابيــل على احســن مستوى من

الصداقة . حتى أننى اعتقدت أن ايزابيل نسيت أنها كانت تحبه فى يوم من الأيام . ثم حدث شيء ما ، جعلنى أشعر بالخوف . كان شيئا بسيطا ، لكنه فى منتهى الأهمية كما ستعرفون .

كنا جميعا فى نزهة بالريف ليوم واحد . كان جراى يقود السيارة فى طريق عودتنا الى باريس ولارى يجلس الى جواره ، وأنا وايزابيل فى المقعد الخلفى . التفت لأتحدث مع ايزابيل لكن عندما رأيت وجهها ، توقفت عن الكلام .

كانت ايزابيـل تنظر الى لارى ووجههـا يحمل انطبـاعا مربـكا . كانت نظـرة حب وولـه . ونهم واشتهاء ايضا . ودون أن تقول لى أى شيء . كانت ايزابيل قد اعترفت بأنها لا تزال تحب لارى من كل أعماقها . كانت ترغبه من كل قلبها وجسدها ، كان لهذا الاحسـاس العميق تأثير على وجههـا الجميل ، فاكتسى بمسحة من الانزعـاج . لم يلحظ أحد تلك

النظرة ســواى . كما أن ايزابيل لم تدرك أننى لمحت نظرتها الى لارى .

ظلت ايزابيل بقية الرحلة هادئة جدا . وعندما نزلت من السيارة تعلقت بذراع جراى ، كمـا لو أنها كانت تخفى خجلها من مشاعرها . كنت على يقين من انها سعيدة فى حياتها العائلية ، وأنها لن تترك جراى أبدا ، لكنهـا كانت ترغب فى لارى أيضا . ولو حدث ووقع لارى فى حب امرأة أخرى ، فان غيرة ايزابيــل ستكون فظيعــة .

وبعد مضى عدة أيام ، قابلنا صوفى ماكدونالد .

- هل تذكرون صوفى ؟ انها تلك الفتاة التى قابلتها فى منزل والدة ايزابيل فى شــيكاجو . فى نفس الليلة التى قابلت فيها لارى للمرة الأولى .

كانت فتاة هادئة لطيفة ذات عينين خضراوين ، اخذت تنظر الى لارى ليلتها باعجــاب شــديد . لم

يدر بخلد أحدنا أن يفكر فيها لمدة سنوات ، ثم حدث أن قابلناها فى باريس • وذلك تفصيل ما حدث •

ذات مســاء كنت أجلس أنــا ولارى عند جراى وايزابيل ، استعدادا للخروج للعشاء •

ســألت ايزابيل :

ــ « الى أين ترّيدين الذهاب يا ايزابيل ؟ »

اجــابت :

« ــ لست ادرى • نحن دائما ما نذهب للأماكن الراقية لتناول العشاء ، ونرى نفس الوجوه • الا يمكن أن نذهب الى مكان شــعبى بســيط ؟ مكان يعــج بالناس ، مكان مختلف » •

قــلت لهــا :

ــ « يمكننى أن آخذكم الى مكان غريب • مكان يمكننا فبه رؤية الفنانين والموسيقيين الفقراء » •

قــالت ايزابيل :

ـ « هـذا ما كنت أقصـده بالضبط • مكان لا نسمع فيه كلمة انجليزية واحدة طوال الليل ! »

ضحك جراى ، لكنه دائما يكون سعيدا لتنفيذ ما ترغب فيه ايزابيل • أما لارى فكان متعودا على مثل تلك الأماكن •

أخذتهم الى عدة مقاه فقيرة ، وبعد فترة وجدنا انفسـنا داخل ماخور تحت الأرض تفوح منه رائحـة الخمر والدخان • وأمكننا رؤية كل النوعيات الغريبة من البشر • بعضهم كان يبدو شرسا حقا • والموسيقى صاخبة وبعضهم يرقص فى مساحـة صغيرة جدا • كان المكان حارا ومعبقا بالدخان ، والرؤية ضبابية •

فجأة جاءت امرأة الى مائدتنا •

قـالت :

ـ « هاللو ، اتتذكروننى ؟ » ثم أطلقت ضحكة رنانة ، وتبين لى انها ثملة • وقفت المرأة تبتسـم لنا جميعا • كانت ايزابيل أول من عرفتها •

ـ « انها صوفى ! صوفى ماكدونالد » ٠

فقالت صوفى فى وقاحة :

ـ « ومن غيرها يمكن أن تكون ! هاللو لارى ٠ هاللو جراى ٠ دعونا نتناول شرابا ٠ جرســون ٠ احضر شرابا لأصدقائى الأعزاء » ٠

تطلعت الى صــوفى ٠ تطلعنــا كلنــا اليهــا فى استهجان ٠

كانت طويلة ونحيفة جدا ٠ ترتدى ملابس فاقعة الألوان ، لكنها قذرة ٠ وشعرها القصير كان مصبوغا بلون أحمر فاقع وتضــع كميــة من المساحيق على وجهها ٠ وبدت أكبر بكثير من ايزابيل ٠ كل الرجال فى المقهى يعرفونهــا وكثير منهم كانــوا يتصــايحون باســمها ٠

قــالت :

ـ « هيه ، يبدو أنك لست سعيدا لرؤيتى ، يا جراى ٠ كان لابد أن أترك شــيكاجو ٠ أنا أحب



باريس أكثر . وأنت يا لارى ماذا عنك ؟ أراك لاتقول شيئا » .

قال لارى :

ـ « ليس لدى ما أقوله . » . ثم نظر الى صوفى ، ليس بغضب ولكن بنوع من الشفقة .

وقف رجل فظ وصاح باسم صوفى . فنهضت وهى تضحك .

وقالت :

ـ « يجب أن أذهب . فأصدقائى بدأوا يغيرون » .

استدارت ومشت وهى ترقص عبر المكان . فصاح عليها الرجل بغضب مرة ثانية .

قالت ايزابيل :

ـ « دعونا نذهب من هنا . فهذا مكان فظيع »
تركنا المكان على الفور ، وفى طريق عودتنا الى البيت قالت لنا ايزابيل المزيد عن صوفى :

ـ « تزوجت صوفى من بوب ماكدونالد • كان شابا وسيما • كانا فى منتهى السعادة معا ، حتى ان الناس كانوا يتندرون عليهما • أنجبت صوفى طفلا • وكان الثلاثة سعداء للغاية » •

قال جراى :

ـ « هذا صحيح ولم يكونا ليتركا الطفل أبدا فى البيت ويخرجان بسيارتهما القديمة الى كل مكان » •
قالت ايزابيل :

ـ « ذات ليلة ذهبا الى احدى الحفلات • غادرا المكان مبكرا الى حد ما وكان الطفل معهما • اصطدمت بهم سيارة وقتل كل من بوب والطفل » •

سألتها :

ـ « هل أصيبت صوفى اصابة بالغة ؟ » •

ـ « كلا • لكن عندما أبلغوها بموت زوجها والطفل ، كادت أن تصاب بالجنون • وعندما غادرت المستشفى بدأت تشرب وتعرفت على الكثير من أصدقاء

السـوء ٠ كان لديهـا بعض المـال ٠ لكن سرعـان ما بددتـه » ٠

سـأل لارى :

ـ « لمـاذا تركت صوفى شيكاجو ؟ » ٠

ـ « عائلتها طلبت منها أن ترحل ٠ وعدوها بأن يرسـلوا لها مبلغا من المـال كل شهر ، على شرط أن تغادر شيكاجو » ٠

قـال جراى :

ـ « وهكذا وجدت طريقها الى باريس ٠ مسكينة صوفى ٠ اشعر بالأسف من أجلها ٠ »

ردت ايزابيـل :

ـ « أنا لا أشعر بالأسف من أجلها ٠ الحـادث فظيع فعلا ٠ فلو فرض ومات جراى والأطفال ، فلابد أن أحاول العيش بشكل محترم ٠ واذا كانت صـوفى تشرب وتتعرف على أصـدقاء السـوء فهـذه غلطتهـا » ٠

كانت ايرابيــل امرأة قويــة تكره الضعفاء • وكانت المصائب تزيدها قوة لا ضعفا •

بعد ذلك بدأ لارى يتكلم • كان يتــكلم بهدوء فى الوقت الذى يفكر فيه بصوت عال •

قـــال :

ـ « اذكر صوفى عندما كانت فتاة • كانت رقيقة جدا وجميلة جدا • كانت تحب القراءة وخاصة الشعر• لدرجة أنها كانت تكتب بعض الشعر لنفسها » •

سألته ايزابيل بشىء من الغضب :

ـ « منذ متى تعرف صوفى جيدا ؟ »

أجــاب لارى :

ـ « عندما عدت من الحرب كنت اراها كثيرا • كنا نتحدث معا فى كثير من الأمور • فصــوفى تمتلك عقلية متفتحة • وكانت لديها رغبــة فى مســاعدة كل النـــاس » •

قالت ايزابيل بنوع من التحامل :

ـ « لكنها تغيرت بالتأكيد · والآن ، دعنى أقل لك شيئا يا لارى · لقد كانت صـوفى تحبك · ألا تعرف ذلك ؟ »

بوغت لارى بذلك وقال :

ـ « انا لا أصدقك يا ايزابيل » ·

فقالت ايزابيل :

ـ « ان البنات اللاتى يتحدثن عن السعر يفعن الحب بسهولة · دعونا نتوقف عن الحـديث عنها فصوفى امرأة سيئة » ·

لم يعجب ذلك لارى · لكنه لم يقل شيئا ·

بدأ جراى يتـكلم عن اجازتـه ونسينا كل شئ يخص صـوفى ·

بعد مرور عـدة أيـام قليلة ، أصطحب جـرا وايزابيل طفلتيهمـا الى البحر · وذهبت أنا لزيـا اليوت · وطلب منى أن أخبره عن أحوال الأصـدقاء اما لارى فقد قرر البقـاء فى باريس فترة الصيف وهكذا ودعنا بعضنا ·

(٨)

حـــدث فظيـــع

سافرت الى جنوب فرنســا فى اليوم التــالى ·
توجهت مبــاشرة الى منزلى الكائن على الســاحل ·
وبعد عدة أيام من الراحــة ، ذهبت الى اليوت لكى
انقل له كل اخبار أصدقائه فى باريس ·

كان اليوت قد سافر الى عدة اماكن خلال فصل
الربيع ، فبدا آكثر ارهاقا وآكثر تقدما فى السن ·

قــلت لاليوت :

ــ « أعتقد أنك ستستريح هنا فترة الصيف » ·

قــال :

ـ « اسنريح ؟ كيف يتسنى لى أن أستريح ؟
باريس ترهقنى الآن . لكن مازال فى استطاعتى أن
اذهب الى الحفلات هناك . لابد أن أشارك فى عدة
حفلات كبيرة هذا الصيف . الناس يدعونني للحفلات .
ويتحتم علي أن أذهب ، وبالتالى ينبغى على أن أدعوهم
لحفلات فى بيتى » .

ـ « لكنك خرجت خمس مرات الأسبوع الماضى،
يا اليوت . لماذا لا تقلل من الذهاب للحفلات ؟
ولابد أن يدرك الناس ذلك » .

ـ « يدركون ؟ بالطبع ، يدركون أننى أتقدم
فى السن . لو أننى توقفت عن رؤية أصدقائى ،
فسرعان ما سوف ينسوننى » .

قلت لنفسى :

ـ « اذن فهم ليسوا أصدقاء مخلصين » .
لكننى لم أقل ذلك لاليوت ، ولم اسخر منه كذلك .
فسوف يأتى يوم يمرض فيه اليوت مرضا شديدا ،
وهو الآن رجل عجوز .

قلت لنفسى :

ـ « أعتقد أنه يفضل الموت على ألا يدعى لحفل من الحفلات . مسكين اليوت . هو يعتقد أنه سعيد لكنه فى الحقيقة خائف جدا » .

فى نهاية فصل الصيف اراد اليوت رؤية جراى وايزابيل فى باريس . كنت ذاهبا الى لندن ، لكن اليوت طلب أن يرافقنى فى السيارة وأذهب معه الى باريس . قدت السيارة بسرعة معقولة . كان اليوت يعرف افضل الأمكنة التى يمكن الاستراحة فيها ، وكذلك افضل ما يؤكل . كان الريف جميلا واستمتعت بحكايات اليوت طوال الطريق .

عندما وصلنا الى باريس توجهت الى فندقى . أما اليوت فكان يقيم فى فندق آخر كبير . كانت ايزابيل على علم بموعد وصولنا الى باريس ، فوجدت رساله منها فى الفندق . فتحتها ، كانت رسالة غريبة جدا ، وقرأت هذه الكلمات : « أرجو الحضور بسرعة قدر

الامكان . لا تحضر الخـال اليوت معك . فقد حـدث شيء فظيع » .

ماذا يكون قد حدث ؟ ربما يكون جراى مريضا . فتوجهت الى شقة ايزابيل بأسرع ما يمـكن . كانت ايزابيل فى انتظارى وحدها .

سـألت :

ـ « ماذا حدث ؟ هل جراى مريض ، أم احدى الطفلتين ؟ »

نهضت ايزابيل واقفة .

وقـالت :

ـ « سوف يتزوج لارى من صوفى ماكدونالد » .
ـ « صـوفى ؟ »

ـ « نعم ، تلك المراة البشعة التي قابلناها فى المقهى » .

سألتها وأنا لا اصدق :

ـ « كيف عرفت ؟ »

أجــابت :

ـ « عرفت ، لأن لارى هو الذى أخبرنى • انه مغفل • رغم أننى قلت له انها امرأة سيئة بالفعل » -

ـ « وماذا قال ؟ » •

ـ « طلب منى أن أكون لطيفة معها • ! أنا ! أنا احب لارى ، وقد احببته طوال حياتى • ولا ينبغى أن يتزوج صوفى » •

ســألتها :

ـ « لمــاذا ؟ فأنت لا تستطيعين الزواج من لارى • لديك زوج طيب ، فلماذا لا يكون لصــوفى زوج طيب أيضــا » •

ـ « لمــاذا ؟ • لأن صوفى امرأة سيئة • لابد أن تتحدث مع لارى • قل له انه سيفسد حياته » •

ـ « انا لا أستطيع أن أفعل ذلك • سيقول لى

لارى هــذا ليس من شأنك · وهناك احتمال أن نتوقف صوفى عن الشراب عندما تتزوج لارى » ·

ــ « هذا ما يقوله لارى · وأنا لا أصــدقه · ان صوفى امراة شيئة ، وستظل امراة سيئة » ·

قــلت :

ــ « من حق لارى أن يختــار لنفسه · لديك جراى · دعى لارى يتزوج صوفى » ·

صرخت ايزابيل :

ــ « أنت تغضبنى · لقد تركت لارى لأننى أردت أن يــكون حــرا · والآن ستجعل صـــوفى من لارى سجينــا » ·

ــ « هذا ليس صحيحا · لقد تركت لارى لأنه لم يكن ثريا بها فيه الكفاية ليناسبك يا ايزابيل · هذه هى الحقيقــة » ·

وصلت ايزابيل فى تلك اللحظة الى قمة غضبها ،

فالتقطت طبقا من على المـائدة وقذفتنى به • فأمسكت به ، فأثارها ذلك أكثر •

صرخت :

ـ « أخرج ، لا أريد رؤيتك مرة ثانية » •

قلت بهدوء :

ـ « أنا آسف لسماع ذلك • ولأنك جميلة جدا ، فأنا استمتع بالنظر اليك » •

هـدأت ايزابيل بعد ما قلت لها ذلك ، لكنهـا كانت لا تزال غاضبة جدا •

قـالت :

ـ « لا يمكن للارى أن يقع فى حب تلك المرأة • أنا لا أتصـور ذلك » •

قـلت :

ـ « انا لا أعتقد ان لارى يحب صوفى ، لكنـه

يشفق عليها ٠ انه يريد أن ينقذها من حياتها الصعبة ٠ وهو يرغب فى ذلك أكثر من أى شىء آخر فى العالم » ٠

قالت ايزابيل وهى تبكى :

ـ « أنا أريد لارى ٠ سيصبح تعسا ٠ لا يمكن أن يتزوج امرأة مثل صوفى ٠ أنا اشعر بالحزن من أجـله » ٠

سـألتها :

ـ « هل تشعرين بالحزن من أجل لارى ، أم من أجل نفسـك ؟ اسمعى ، خذى هذه النصيحة ٠ اذا كنت لا تودين فقد لارى ، عليك باقامة علاقة صـداقة مع صوفى ٠ هى فى حاجة لملابس جديدة ٠ اذهبى معها لشرائها ٠ كونى عطوفـة معها ٠ وسـوف يسعد بك لارى ٠ أطلبى من صوفى أن تحضر للغداء معقول كذلك لارى » ٠

ظلت ايزابيل صامتة للحظة ، كانت تفكر بامعان ٠ واخيرا قالت :

ـ « قم أنت بدعوة صوفى ولارى للغداء • ومن ثم نلحق بكم انا وجراى • يمكننا ان نتناول الطعام فى فندق كبير » •

وهــكذا اتصلت بصــوفى ، فوافقت هى ولارى لتناول الغداء معى فى اليوم التــالى • وضعت سماعة التليفون وتطلعت الى ايزابيــل • كانت هنــاك نظرة غريبة فى عينيها •

ســألتها :

ـ « فيم تفكرين ؟ هل تخططين لشىء ما ؟ »

قلت ذلك لأننى أعرف ان ايزابيل امرأة ذكية • وعندما ترغب فى شىء ، كانت تحصل عليه بطريقتها •

ابتسمت ايزابيل وقالت :

ـ « أفكر فى الملابس التي سأرتديها ، وفيما سوف ترتديه صــوفى • وأرجو الا تضــع الكثــير جــدا من المساحيق على وجهها ! » •

(٩)

هـــروب صـــوفى

فى اليوم التالى التقينا بأحد الفنادق الكبيرة ·
كانت ايزابيل وجراى أول من وصل · بدت ايزابيـــل
فى منتهى الجمال بفستانها الأسود والقبعة الأنيقة التى
تضعها على راسها ، فقد كانت تعرف دائما كيف تنتقى
ما يناسبها من ملابس كى ترتديها ·

بعد خمس دقـــائق وصـــل لارى ومعـــه صـــوفى
ماكدونالد · أصابنى نوع من عدم الارتياح عندما رأيت
صـــوفى · كانت ترتدى فستانا جديدا ، لكنهـــا بدت
شاحبـــة وأكبر سنا · شـــعرها غير مصفف وبشرتها
مجهدة · ورغم أن كل ملابسها جديدة ، الا أنها لم تكن

مناسبة لها • تطلعت ايزابيل الى صوفى بعين فاحصة ، وتأكدت أنها تبدو أكثر جمالا منها •

قــلت :

ــ « أتشربين شيئا يا صوفى ؟ »

اجــابت :

ــ « كلا • شــكرا » • ولم نشرب هى أو لارى اى شيء •

بعد ذلك وصل اليوت الى القاعة الطويلة التى كنا نجلس فيها • عرفه الجميع وكان سعيدا لرؤية العديد من أصــدقائه •

جلسنا الى المــائدة وأمرت باحضار الطعام •

قــال اليوت :

ــ « اسمحوا لى ان أطلب لكم نبيذا ، رغم أننى لا أشرب الآن ، لأنه يتعبنى • لكننى أريدكم أن تشربوا أفخر الأنواع » •

بدأ اليوت فى التحدث مع صوفى ، لكنها لم تقل سوى كلمات قليلة • كانت تبدو سقيمة وضجرة • فقد وعدت لارى بالا تشرب • وكان ذلك أمرا صعبا بالنسبة لها • بعد ذلك تحدث جراى واخبرنا بأنه سيبدأ العمل فى القريب العاجل •

قـــال :

« ـ أنا الآن فى اتم صحة وعافية • وذلك بفضـــل مساعدة لارى • لم تعد نوبات الصـــداع تنتابنى الآن • ان لارى يستطيع مســاعدة اى انسان مريض » •

كان جراى يقصـــد صـــــوفى ، ويوحى الى لارى بمساعدتهـــا •

عندما انتهينا من الطعام تحدث الجرســون الى اليوت وقال له :

ـ « لدينا اليوم شراب خاص جدا • أعرف أنك لا تشرب النبيذ الآن ، لكن هــذا الشراب سينـاســب الجميــع » •

قــال اليوت :

ـ « أحضر لنا زجاجة . دعني أجربه » .

كان لون الشراب أخضر شاحبا وغير مألوف . تناول اليوت بعضا منه ، ولدهشتي تناولت ايزابيـل بعضا منه أيضـا . فقد كانت ايزابيل عادة لا تشرب الا القليل جدا ، محافظة منها على رشاقتها .

قالت ايزابيل بصوت مرتفع على غير العادة :

ـ « له رائحة جميلة يا خالي اليوت . ومذاقه فى منتهى الروعـة أيضـا ، لابد أن تشترى لنا بضـع زجاجات يا جراى » .

قال اليوت بكرمه المعهود :

ـ « أنا سعيد لأنه أعجبك . سأشترى لك بعض الزجاجات » .

بدت ايزابيل سـعيدة جدا وأخذت تتحـدث عن الشراب حتى غادرنا الفندق ، كمـا أننى تحدثت مع صوفى قبل أن تتركنا هى ولارى .

ـ « متى سوف تتزوجين ، يا عزيزتى ؟ »

اجابت صــوفى :

ـ « الأسبوع بعد القادم • آمل أن تحضر حفل الزفــاف » •

قــلت :

ـ « للأسف • فسوف أغادر باريس غدا • لكننى أتمنى لكما منتهى السعادة » •

قالت ايزابيل :

ـ « خسارة الا تحضر حفل الزفاف • فســوف ترتدى صوفى أجمل فستان زفاف • سآخذها الى صانع ملابس الآن ، لنختار أجمل فستان تقع عليه أعيننا »•

سعدت صوفى جدا ، وسعدت أنا كذلك • فقد أخذت ايزابيل بنصيحتي • وبدأت تصبح لطيفة مع صوفى • وغادرت ايزابيل وصــوفى الفندق معا ، وهى ما تزال تتكلم بصوت عال •

ودعت لارى وجراى واليوت . صباح اليوم التالى تركت باريس متجها الى لندن . وقد رتب اليوت الأمور لمقابلتى هناك بعد عدة أسابيع .

بعد أسبوعين قابلت اليوت فى لندن ، وسألته بالطبع عن الزفاف :

ـ « هل جرت الأمور على ما يرام ؟ وهل كانت صوفى فى أبهى زينتها ؟ هل تعتقد أن لارى وصوفى سيكونان سعداء ؟ » .

قال لى اليوت :

ـ « لا أستطيع الاجابة على أسئلتك . لأنه لم يكن هناك زفاف . لقد هربت صوفى ؟ »

قلت بدهشة شديدة :

ـ « صوفى هربت ؟ لماذا فعلت ذلك ؟ وقد كانت فى أمس الحاجة لمساعدة لارى ، أليس كذلك ؟ هل حدث بينها وبين لارى شجار ؟ »

أجاب اليوت :

ـ « كلا ، كلا على الاطلاق ، كل شىء كان قد تم اعداده . وقبل الزفاف بأربعة أيام اختفت صوفى » .

ـ « وبالتأكيد بحث عنها لارى ؟ »

قال اليوت :

ـ « بالطبع بحث عنها . بحث عنها فى كل أرجاء باريس . واكتشف أنها تركت شقتها . ولم يرها احد بعد ذلك » .

قلت :

ـ « لابد أن لارى حزين جدا من أجل ذلك » .
قال اليوت :

ـ « أنا لم أره . لكن ايزابيل قالت بأن لارى كان قلقا جدا على صوفى . كما أنها اصبحت متعاطفة جدا مع لارى » .

فكرت للحظة ، وقلت لنفسى : لابد أن تكون ايزابيل فى منتهى السعادة الآن . فقد كانت لا ترغب

فى زواج لارى من صوفى . كان لدى سؤال آخر . فسألت اليوت :

ـ « من كان آخر شخص تكلم مع صوفى قبل أن تختفى ؟ »

قال اليوت :

ـ « ايزابيل . فقد اتصلت بها ايزابل بخصوص فستان الزفاف . فوعدتها صوفى بالحضور الى شقتها ، ومن ثم تذهبان سويا لاحضار الفستان » .

ـ « الم توفى صوفى بوعدها ؟ »

ـ « كلا . بل حضرت فى موعدها . لكن ايزابيل لم تكن موجودة . وعندما عادت كانت صوفى قد انصرفت . وكان ذلك آخر شيء نعرفه عنها » .

كان ذلك غريبا جدا . وتساءلت لماذا تهرب صوفى على هذا النحو ؟ هل تعرف ايزابيل السبب ؟ . كان لدى اليوت رأى فى ذلك .

فقـال :

ـ « أعتقد أن صوفى كانت تريد معاودة السرب ثانية . لقد كانت تتعاطى الأفيون أيضا . كانت صوفى تريد من لارى أن يساعـدها ، لكن كان من الصعب عليها أن تغير حياتهـا . فقد كانت تشرب وتتعـاطى الأفيون منذ فترة طويلة جدا » .

ـ « وما هو رأى لارى ؟ » .

ـ « لارى لا يود أن يتكلم عن صوفى لأى أحد . لكنني أعتقد أنه محظوظ ، لأن صوفى كانت ستجعل حياته جميعا » .

كانت تلك وجهة نظر ايزابيل أيضا ، وقد حققت ما كانت تريده ، بعدم زواج صـوفى من لارى بعد كل شيء . كما أن ايزابيل ظلت صديقة للارى . ترى هل دبرت ايزابيل كل ذلك ؟

مضى ما يقرب من عـام قبل أن أرى ايزابيـل ثانية ، وقبل ذلك كنت قد عرفت الحقيقة ـ من صوفى ماكدونالد نفسها .

(١٠)

مقـــابلة صـــوفى

خلال الستة شهور التى تلت ذلك كنت مشغولا جدا • فأقمت فى بيتى الكائن على البحر وانتهيت من كتابى القادم • أحيانا كنت ارى اليوت ، وذات مرة اقمت عنده لبضعة أيام •

قال لى اليوت :

ـ « لقد فاتتك عدة حفلات رائعة • كلها كانت فى منتهى البهجة • أشعر حقيقة بأننى على ما يرام تماما » •

مسكين اليوت • فرغم تقدمه فى السن ومرضه ،

لم يكن يرفض ابدا اى دعوة توجه اليه لحضـور اى حفلة ، خشية أن يتناساه أصدقاؤه ٠

بحلول شهر يونيو ، شعرت أننى فى حاجة الى اجازة ٠ تركت اعمـالى وركبت سفينة صغيرة تقوم بجولة على مدن السـاحل ٠ كان الجو معتدلا وكان البحر هادئا ٠٠ توقفت السفينة مرتين أو ثلاثا ببعض الشواطىء واخيرا وصلنا الى مينـاء تولون ٠ وهى مينـاء مزدحم مليىء بالسفن والبحـارة ٠ استمتعت بمرأى السفن التى سيبحر بعضها الى الجنوب والبعض الآخر الى الشرق ٠ من ميناء تولون يمكنـك أن تقوم برحلة الى أى مكان فى العالم ٠

رست السفينة فى الميناء بعد الظهر ٠ واخذت أتجول فى المدينـة أتطلع الى السفن والى الناس ٠ وبينما كنت أتطلع الى الجالسين خارج أحد المقاهى ، نـادى على أحـدهم باسـمى ٠ كانت صـوفى ٠ كانت تجلس وحيـدة وأمامها زجاجة شراب فارغة ٠ توقفت وسلمت عليها ٠ كانت سعيدة لرؤيتى ٠

قــالت صــوفى :

ـ « اجلس وتناول شرابا » •

فقــلت لهــا :

ـ « بل دعينى أشترى لك شرابا » جلســت الى نفس المــائدة واخذت أتطلع الى صوفى بعناية • .

كانت صوفى ترتدى زى بحار فرنسي • كانت نحيفة جدا ووجهها بني للغاية • وشعرها قصــير جدا ومجعد ومصبوغ بلون ذهبى • كانت تبدو مثل صبى أكثر منها امرأة •

قــلت :

ـ « تبدين سعيدة ، وهذه الملابس تناسبك » •

قــالت :

ـ « انا على ما يرام • كيف الحال فى باريس ؟ »

أجبتهــا :

ـ « لم اكن فى باريس منذ ســتة شــهور » •

ضحكت صوفى وقالت :

ـ « ولا أنا · لأننى لم اتزوج لارى بأى حال من الأحوال · »

ـ « أعرف · لماذا لم تتزوجيه ؟ »

ضحكت صوفى ثانية . وقالت :

ـ « اتريد أن احكى لك ؟ »

هززت راسى موافقا ، واحضر الساقى شرابنا وأشعلت صوفى سيجارة ·

قالت :

ـ « عندما دعوتنى للغداء ، لم آكن ذقت شرابا منذ ثلاثة شهور · كما أن لارى ساعدنى فى التوقف عن تدخين الأفيون أيضا · كنت أريد أن أرضى لارى ، رغم معاناتى الشديدة » ·

تطلعت الى عينى صوفى · كان من الواضح أنها عادت لتدخين الأفيون ثانية ·

ـ « كانت ايزابيل ستأخذنى لاحضار فستان

الزفاف . وكان فستانا جميلا . بالفعل . لم اعرف ماذا حدث لها . فقد وعدتها بعد أن اتصلت بى تليفونيا ان اقابلها فى شقتها . لكننى عندما وصلت ، لم تكن موجودة » .

سألتهـــا :

ـ « وما سبب ذلك ؟ » .

ـ « اخذت احدى طفلتيها الى طبيب الأسنان . طلبت من الخـادمة أن تعد لى فنجانـا من القهوة . وبينما كنت اشرب القهوة ، لاحظت وجود زجاجة على المـائدة وكأسين أو ثلاثا . وحقيقة احسست برغبـة شديدة فى الشرب . اكملت شرب قهوتى . ولم تحضر ايزابيـل .

سألتهـــا :

ـ « ماذا كان داخل الزجاجة ؟ » .

أجـابت :

« الشراب الأخضر ، الذى شربت منه ايزابيل فى

الفنـدق • انتظرت طويـلا ، وعينـاى لم تفارقـا الزجاجة • أخيرا صببت كأسـا وتذوقت قليـلا من الشراب • كان جيدا جدا • شربت قليلا بعض الشىء ، ثم أنهيت الكأس » •

ــ « هل عادت ايزابيل فى ذلك الحين ؟ »

ــ « كلا ، لم تعد • لو أن ايزابيل عادت فى ذلك الحين ، لكنت متزوجة من لارى الآن • لكنهـا لم تعد • وهكذا شربت المزيد والمزيد » •

فى تلك اللحظة أدركت ما خططت له ايزابيل • كانت ايزابيل تأمل فى ان تعود صوفى للشراب ثانية وبالتالى وضعت الزجاجة امامها لتغريها •

قلت بنوع من العتاب :

ــ « وبالطبـع شربت الزجاجـة كلهـا ! وماذا قـالت ايزابيل ؟ » •

ــ « لم تجدنى عند عودتها • سمعت صـوتها أسفل السلم ، لكننى هربت بطريقة ما من المنزل •

فقد جعلنى الشراب اشعر بسعادة غامرة ، لم أعد معها أشعر بحاجتى الى لارى · ولم أشأ أن يعثر على · لذا فقد أتيت الى هنا » ·

سـألتها :

ـ « هل تنوين البقاء هنا ؟ » ·

ـ « بالطبع · فأنا سعيدة ، ألست كذلك ؟ · هنا أستطيع الحصـول على أى كمية من الأفيون · البحارة يجلبونه لى · أنا أحب العيش هنا · لا أريد أن ألعب دور الزوجة الطيبة ، التى ترتضى العيش فى بيت صغير · أريد أن أشرب واستمتع بالحياة » ·

ـ « اذن فأنت سعيدة هنا » ·

ـ « سعيدة ؟ هل يوجد من هو سعيد ؟ انهم قلة · لكننى أستمتع بالحيـاة · أحصـل على كل ما أريده هنا » ·

فى تلك اللحظة سمعت جلبة صادرة عن مجموعة من البحارة تمر من أمامنا · اتجه واحد منهم ناحيـة

مائدتنا . كان شابا وسيما ، شعره أسـود فاحم ، ابتسم ذلك الشاب البحـار لصـوفى ، لكنه عبس فى وجهى .

قالت صوفى لى :

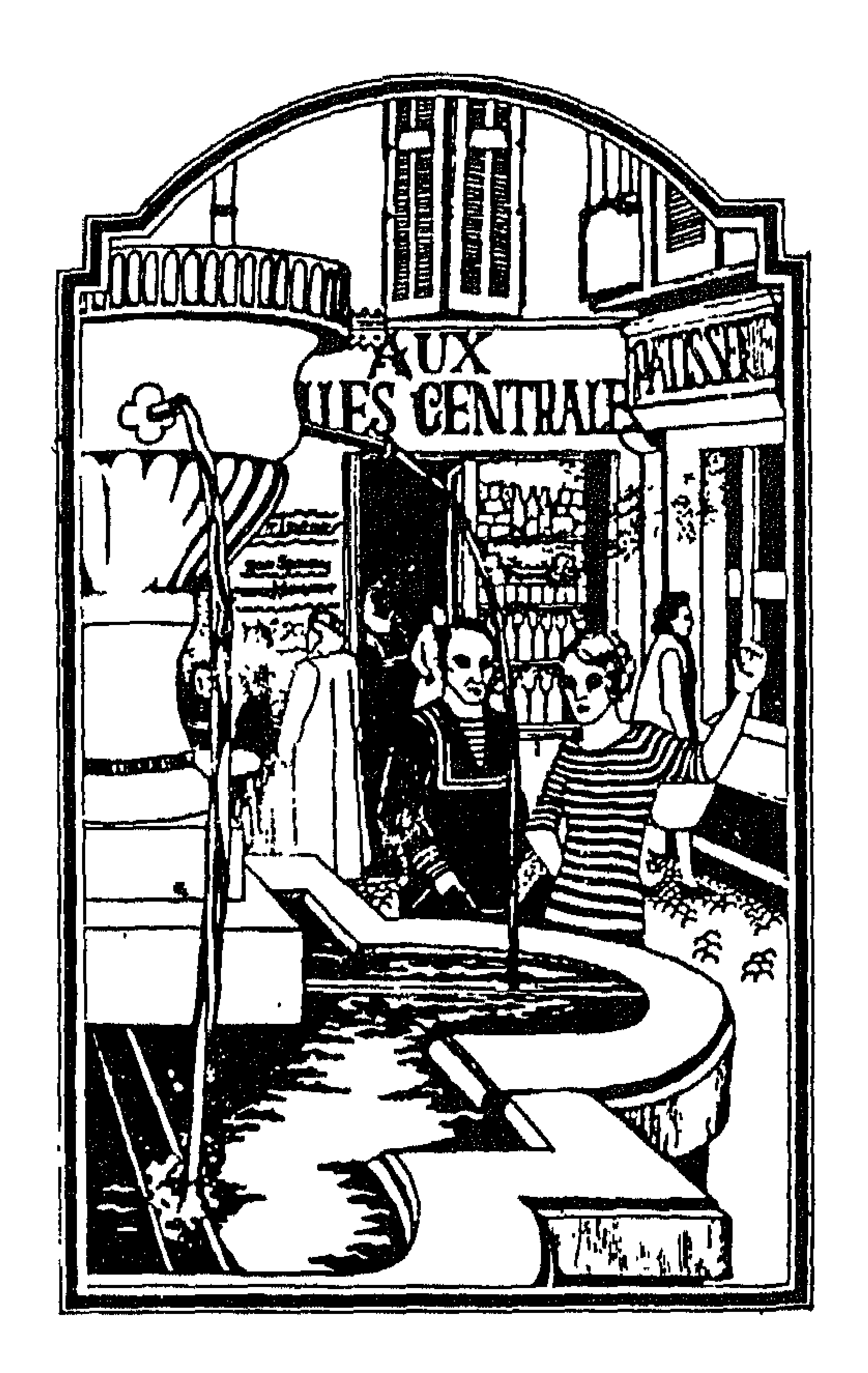
ــ « رحب بصديقى » ، وأخذت تتأمل البحار الشاب ثم قالت :

ــ « انه وسيم ، أليس كذلك ؟ كما أنه قـوى للغـاية » .

كان الشاب يبدو قويا بالفعل ، لكن الأكثر من هذا أنه كان من النوع الخطـر . نهضت واقفا وقلت لها :

ــ « كونى حذرة يا صوفى ، فأنت تقيمين صداقات خطرة . سأترك لك عنوانى ، فى حالة اذا ما وقعت فى أى مشـكلة فى يوم من الأيام سـوف تجدين رقبتك مقطوعـة » .

قالت صوفى بصوت عال وهى تبتسم :


AUX

ـ« ومن ذا يهتم ؟ » ٠

أعطيتها عنوانى ونقودا لتدفع ثمن التراب ٠ ثم سرت ببطء بعيدا عن المقهى ٠ كانت صـوفى تقف مع البحار الشاب يتحدثان بصوت عال ٠ عندما وصلت الى ناصية الشارع ، التفت فنظرت صوفى الى ، فلوحت لها بيدى ٠ ومشيت على مهل عائدا الى سفينتى ٠ ولم أر صـوفى ، مرة ثانية على قيد الحياة ٠

(١١)

الدعوة الأخيرة لاليوت

كانت اجازتى القصيرة على وشك الانتهاء • وبعد حوالى أسبوع كنت فى بيتى ثانية • كنت سعيدا بعودتى ومعاودة عملى •

لكن خادم اليوت بعث لى برسالة ، تفيد بأن اليوت مريض ويرقد فى الفراش ويرغب فى رؤيتى • فى اليوم التالى قدت سيارتى الى بيت اليوت • وعندما وصلت تكلمت مع خادمه •

ـ « ماذا حدث ؟ هل سيدك مريض ؟ » •

قال لى الخادم :

ـ « الطبيب غير مطمئن على الاطلاق • سـيدى مريض جدا • فهو لا يعيش عيشة رجل عجوز ، وأخشى ان يموت سريعـا » •

انتابنى قلق شـديد واسرعت بصعود السلم الى حجرة اليوت • كان اليوت فى الفراش ، ولدهشـتى وجدته هادئا ومبتهجا •

سألتـــه :

ـ « كيف حالك ، يا اليوت ؟ »

ـ « سأكون على ما يرام خلال أيام قليلة • لابد أن أقف على قدمى يوم السبت • فهناك حفلة مهمـة ذلك اليوم » •

سألتـــه :

ـ « كيف يتسنى لك التفـكير فى الحفـــلات ، يا اليوت • وانت فى هذه الحـالة • لابد أن تبقى فى الفراش حتى تستعيد صحتك تماما » •

قــال اليوت :

ـ « كــلام فارغ . ســأكون على ما يرام يــوم السبت . وسوف ترى » .

كان اليوت على حــق . فقد كنت مدعوا لهــذه الحفلة ورأيت اليوت يتحرك بحيوية ويتحدث بشــكل جيد ، واستمتع الجميع برؤيته .

كنت أزور اليوت من حين الى آخر . أحيانا يكون مريضا ، لكنه كان يتواجد بصفة دائمة فى معظم الحفلات ودعوات العشاء .

كنت أذهب لرؤيته كل ثلاثة أو اربعــة أيام . وذات مساء فى بداية شهر أغسطس وجدت اليوت هادئا وحزينا . تحدثت عن كل أصــدقائنا ، وحاولت أن اجعله يضحك .

سألتـــه :

ـ « ماذا بك يا اليوت ؟ هل طلب منك الطبيب أن تلزم الفراش ثانية ؟ » .

لم يرد على فى البداية ، ثم قال بهدوء :

ــ « هل ستذهب الى حفل الأميرة نوفيمالى ؟ »

ــ « كلا • لن أذهب بالطبع • سيكون هناك أناس كثـيرون » •

ثم قال اليوت بنوع من الحسرة :

ــ « هل ارسلت لك الأميرة دعوة ؟ »

ــ « بالطبع • ودعت كل من تعرفة • فهذه أكبر حفلة فى العام » •

نظر الى اليوت ، بنوع من الأسى •

وقـــال :

ــ « الأميرة لم تدعنى » •

قــلت :

ــ « أتوقع أن تصلك الدعوة غدا » •

قـــال :

ـ « كلا ، لن تصلنى ٠ فهذه المرأة تكرهنى ٠ هى أمريكيـــة مثلى وتعتقد أننى أعرف الكثير جدا عن عائلتها ٠ انها أحسن حفلة فى العام وانا لم توجه لى الدعــوة » ٠

قــلت :

ـ « أنا متأكد أنهــا مجرد غلطــة ٠ سأتصــل بسكرتيرتها بهذا الخصوص » ٠

ـ « كلا ، لا فائــدة من ذلك ٠ فهى تكرهنى ٠ الكل يكرهوننى لأننى رجل عجوز » ٠

ولدهشتى، رأيت اليوت يبكى ٠ شعرت بالحزن من أجله ٠ فقــد قضى اليوت حيــاته يقيم الحفــلات للمشهورين من الناس ٠ أما الآن وقد أصبح عجوزا فهم يتناســـونه ٠ ولمــا كنت أحب اليوت فقــد قررت مساعدته ٠

فى اليوم التالى ذهبت لمقابلة ســكرتيرة الأميرة ٠ كانت قد أرسلت كل الدعوات وتلقت الرد عليهــا ٠ لكننى أقنعتها بأن ترســل دعوة الى اليوت ٠ فكم كانت

سنسعده هذه الدعوة وترفع من معنوياته ، رغم أنني كنت على يقين بأن اليوت سيكون مريضا جدا ، ولن يكون باستطاعته الذهاب الى الحفل ·

ولقد صـدق حدسي · فعندما زرت اليوت بعد ذلك ، داهمني احساس بأنه يموت · لكنه كان يمسـك دعوة الأميرة بين يديه ·

قلت له :

ـ « هيـه ! لقد وصلت دعوتك ، يا اليوت » ·
ورغم إنه كان يبدو واهنا ، الا أنه كان يشعر بالرضا ·

ـ « تمام · وصلت الدعوة صباح اليوم · هل من الممكن أن تكتب لى ردا عليها » ·

قـلت له :

ـ « لا تقلق بخصوص ذلك ، يا اليوت » ·

ـ « أنا أعرف أنه لن يكون بامكاني الذهاب ، فأنا أموت · كنت أرد على الدعوات فور وصولها · سـوف أرد على هـذه الدعوة · لابد أن تكتب الرد · سـأملي عليك ما تكتبه » ·



أغلق اليوت عينيه وارتسمت على وجهه ابتسامة وقال اكتب ذلك : « يتقدم السيد اليوت تمبلتون بالشكر والامتنان للاميرة نوفيمالى ، للدعوة الرقيقة التى وجهتها اليه ، واذا قدر لســوء الحظ الا يلبى الدعوة بحضور الحفل ، فسوف يكون ذلك لارتباطه بدعوة مسبقة لحضور حفل عشاء بالجنة » ٠

ضحك اليوت ضحكة قصيرة وقال :

ــ « انها امرأة فظيعة ! »

كانت هذه آخر كلمات نطق بها اليوت ٠ ناديت الممرضة ٠ ثم اتصلت بجراى وايزابيل ٠ حضرا فى أول قطار ، عندما وصلا كان اليوت قد مات ٠

كان اليوت قد ترك ترتيبــات جنازتــه مكتوبة بعناية ٠ دفن فى كنيسة صغيرة بايطاليا كان قد ساهم فى بنائها ٠ ترك منزله وشقته فى باريس وكل أمواله لايزابيــل ٠

كان جراى منذ فترة طويلة يود أن يعود الى

امريكا . والآن اصبح لديه المـال الذى يمكنه من أن يبدأ مشروعا لنفسه . وافقت ايزابيل ورتبوا أمورهم للعودة الى أمريكا فى الربيع . أخيرا أصبحت ايزابيل امرأة ثرية .

وهكذا مات البوت راضيا . فوفاته جعلت جراى وايزابيل سـعداء أيضا ، وأصبح بامكانهم العودة الى أمريكا والعيش كشخصيات مهمة . وسيعجب الناس بما يمتلكونه من أشياء جميلة ويصغون الى حكاياتهم عن فرنسـا . ومن الطبيعى ان يكون لهم أصـدقاء عديدين ، وأن يعيشوا سعداء بقية حياتهم .

(١٢)

عودة لارى الى باريس مرة ثانية

فى ذلك الخريف ، اغلقت شقتى بجنوب فرنسا. فقد كنت أنوى قضاء الشتاء فى لندن . لكننى قررت ان اقضى اسبوعين أو ثلاثة فى باريس أولا .

كان جراى وايزابيل لا يزالان فى باريس كذلك. وكان ذلك آخر شتاء لهما فى فرنسا . كانا مشغولين بزيارة الأصـدقاء وارتياد الحفلات . كانت ايزابيل تعلم بوجود لارى فى باريس ، لكنها لم تره الا مرات قليلة . وكالعادة لم يقل لارى لأحد أين يقيم .

كنت أقضى الكثير من الليالى فى المسرح . وذات

ليلة ذهبت الى أهم مسرح فى باريس ، حيث كانت تعرض مسرحية نثرية لم يسبق لى أن رأيتها تمثل من قبل • كانت كلمات المسرحية الدافقة تنطق مثل الموسيقى العذبة • ورغم أن المسرحية مسرحية تراجيديه الا أنها كانت مثيرة جدا •

فى فترة الاستراحة تركت مقعدى وخلوت بنفسى وشرعت أفكر فى تلك الكلمات الجميلة التى سمعتها منذ قليل • لمس شخص ما كتفى • استدرت بسرعة فرأيت لارى • سعدت جدا لرؤيته •

التقينا بعد انتهاء العرض ومشينا عبر الشوارع المزدحمة ، حتى وصلنا الى مطعم كبير • كان الوقت متأخرا ، وكنا جائعين فطلبنا طعاما دسما •

قلت للارى :

ـ « لقد رأيت ايزابيل • هى وجراى سوف يعودان الى أمريكا • »

قال لارى :

ـ « سيسعد جراى جدا . فهو لا يحب باريس .. يحب العمل الشاق . أتوقع أنه سيجمع الكثير من المال فى امريكا » .

قلت له :

ـ « لو حدث ذلك ، لوجب عليه أن يشكرك ، يا لارى . فقد ساعدته عندما كان مريضا ، وجعلته يشعر أن بامكانه معاودة العمل » .

قال لارى :

ـ « لم أفعل الا القليل . لقد أُرشدته على الطريقة التى يساعد بها نفسه » .

سألته :

ـ « أين تعلمت ذلك ؟ »

أجاب لارى :

ـ « فى الهند . علمنى ذلك رجل حكيم . واكتشفت أنه باستطاعتى أحيانا ، أن أخلص الناس من آلامهم .

أســاعدهم لنســيان خــوفهم • وهــذا شيء فى غايــة الأهميــة » •

فى تلك اللحظــة وصــل الطعام • كنا جائعين ، فانهلنا على الأكل لفترة دون أن نتكلم • ثم نظرت الى لارى •

سألتــه :

ــ « ما الذى جعلك تسافر الى الهند ؟ »

ــ « مجرد صدفة • أنا على الأقل أعتبرها فرصة • لكننى أعتقــد اننى ذهبت الى هنــاك بسبب أنــاس معينين » •

ــ « أى أنــاس ؟ »

ــ « أناس قابلتهم فى أماكن متعددة فى أوربا » •

ــ « اذن فقد سافرت فى أنحاء أوربا قبل ان تذهب الى الهند » •

ــ « نعم • هــل تعرف ماذا فعلت عندما تركت باريس أول مرة منذ عشرة أعوام • ؟ »

ـ « كلا · قل لي أرجوك ، يا لارى » · تساءلت عما يمكن أن يقوله لارى · هل قام بالعمل فى جامعـة أو مدرسـة ·

قـال لارى :

ـ « شعرت بأن جسدى فى حاجة الى عمل شاق · وهكذا عملت فى منجم » · أصبت بدهشة شديدة ·

فقـلت :

ـ « عامل فى منجم ؟ أين ؟ »

« فى شـمال فرنسا · كان العمل صعبا ، لكننى قابلت بعض الناس هنـاك أثاروا انتباهى · اناس يثيرون الانتباه من أى زاوية تنظر بها اليهم » ·

أخذت استمع اليه فى اهتمام · لم أكن أود منه أن يتوقف عن الكلام · فها هو أخيرا يخبرنى ببعض الأمور عن حياته الغريبة · وواصل لارى كلامه :

ـ « قابلت رجلا من بولندا ، اسمه كوستى ·

كان قويا كالثور ، دائما على استعداد للشجار · لكن أحيانا فى آخر الليل ، وكنا نجلس فى مقهى صغير كثير الضوضاء ، يصبح جادا ، ويشرع يتكلم عن الله ورغبتنا فى العثور عليه ، كان لا يتكلم فى هذه الأمور ، الا عندما يكون سكرانا » · وابتسم لارى :

ـ « لأى مدة عملت فى هذا المنجم ؟ »

أكمل لارى كلامه :

ـ « لمدة ستة شهور · بعدها اقترح كوستى أن نذهب الى ألمانيا · وحدث ذلك بالفعل · كان فصل الربيع رائعا · وبينما كنا نسير فى ربوع ألمانيا ، علمنى كوستى الألمانية ، وفى فصل الصيف عملنا فى مزرعة » ·

سألته :

ـ « ألم تلتقى بأى امرأة جميلة فى ألمانيا ؟ » ·

طرحت عليه هذا السؤال ، لأعرف اذا ما كان لايزال يفكر فى ايزابيل · وفهم لارى السؤال ·

فاجـاب :

ـ « لقد كنت فى منتهى الأسى عنـدما عـادت ايزابيـل الى أمريكا • لم أفهمهـا فى ذلك الحين • أما بالنسبة لسـؤالك ، فقد قابلت بالفعل فتيـات جميلات ، أعجبن بى • عندما كنت أعمل بالمزرعـة فى المـانيا وقعت بنت صاحب المزرعة فى حبى ! » •

ضحكت • فقد تبين لى أنه لم يحبها •

سألتـه :

ـ « وماذا فعلت ؟ » •

قـــال :

ـ « هربت ! لكننى مازلت أتذكرهـا • كـل انسان نقابله يحدث فينا تغيرا بطريقة أو بأخرى » •

وتصورت للحظة ان لارى سـوف يتوقف عن الكلام • كان ذهنه شاردا الى بعيد وترتسم على وجهه ابتسـامة •

فقلت له مذكرا :

ـ « ما زالت المـانيا بعيدة جدا عن الهند » .

فأجـاب :

ـ « ليست بعيدة جدا . لأن هناك أناسا فى كل مكان يفكرون بنفس الطريقة . ففى ألمـانيا ساعدنى راهب فى البدايـة ، سألته عدة أسـئلة وسألنى هو سؤالا واحدا فى منتهى الأهمية » .

قـلت :

ـ « وما هو هذا السؤال ؟ »

ـ « سألنى عما اذا كنت أؤمن بالله » .

ـ « وبمـاذا أجبتـه ؟ »

ـ « بدلا من الاجابة على سـؤاله . حكيت له شيئا عن نفسى » .

توقف لارى للحظـة عن الكلام ثم اسـتمر . ونسانى تماما . فقد عاد الى المـانيا ، يتحـدث مع الراهب .

ـ « عندما كنت فى المدرسة ، أحببت الطيران ، وعندما قامت الحرب كنت أرغب فى الطيران · عندما بلغت السابعة عشرة كنت أطير فوق فرنسا · كانت الطائـرات أيامها خطرة ، لكننى أحببت الطـيران · عندما أحلق فى الجو أشعر بالزهو والسعادة ·

« ذات يوم رأيت رجـلا مقتولا · كان شـابا وكان أفضل صديق لى · لم افهم لمـاذا مات · وعندما انتهت الحرب ، بدأت أقرا كل ما أستطيع قراءته · كنت أريد أن اعرف لمـاذا يسمح الله بموت الشباب »·

قـلت :

ـ « ليس هنـاك أحد يعرف اجابـة هـذا السـؤال » ·

ابتسـم لارى :

ـ « قال لى الراهب ان كنيسته تعرف الاجابة · ودعانى للاقامة معه فى الدير » ·

قـلت :

ـ « وهـكذا أصبحت راهبـا الى حـد ما • كم ستدهش ايزابيل عندما تعرف ذلك » •

اجـاب لارى :

ـ « قرأت كمية من كتب الرهبان ، لكنها لم تجب على سؤالى • وهكذا عدت ثانية الى باريس » •

توقف لارى عن الكلام ونطلع فى انحـاء المكان • كان خاليا تقريبـا والجرسون ينظر الينا • فقد كان يريد منا أن ننصرف • وقفنـا • كنت أريد أن أسمع المزيد من حكاية لارى ، لكنه لم يرغب فى أن يخبرنى بأى شىء آخر • دفعنا الحساب وقلنا لبعضنا وداعا •

وكالعادة ابتعد لارى مسرعا • فهو دائما يحب أن يكون وحده • ورغم مرور عشر سنوات ، الا أن لارى كان لايزال ذلك الشاب الغريب الأطوار ، الذى قابلته لأول مرة فى شيكاغو • لكنه رجل فى منتهى السعادة • ولا يستطيع شىء أبدا أن يكدر صفوه الآن •

(١٣)
مقتـــل صـــوفى

أمضيت الشـــتاء كالعـــادة فى لندن • وكان من الغريب طبعا ألا أقابل اليوت هناك ، استمتعت بلقـــاء اصدقائى من الانجليز • كان كتابى قد نشر ، وفى بداية ابريل عدت ثانية الى بيتى بجنوب فرنسا • ودون أى دعوة من اليوت لحضور حفلاته ، عشت فى هدوء •

ذات صباح من ابريل ، كنت مشغولا بالكتابة فى حجرتى بالدور العلوى ، حين دخل على خادمى ليخبرنى بأن هناك شرطيين يريدان مقابلتى • كنت لا أريد أن أتوقف عن الكتابـــة ، لكن كـــان من المحتم عـــلى أن اقابلهمـــا •

كان الشرطيان غاية فى الأدب . تبادلنا السلام وتحدثنا بهدوء لعدة دقائق . بعد ذلك اخرج الشرطى الطويل دفترا صغيرا من جيبه ، وقلب عدة صفحات بحرص ، ثم نظر الى وسألنى :

ـ « هل تعرف واحدة تدعى صوفى ماكدونالد ؟ »

دهشت جدا ، وقلت لنفسى ترى ماذا فعلت صوفى ؟ .

أجبته :

ـ « نعم أعرفها . لكن ماذا هناك ؟ هل حدث لها مكروه ؟ » .

فلقد اعتقدت أنها ربما يكون قد قبض عليها بسبب تدخين الأفيون .

قال الشرطى دون أن يبتسم :

ـ « بالفعل حدث لها مكروه . لقد ماتت صوفى ماكدونالد . عثرنا على جثتها طافية فى البحر بالقرب من تولون » .

همست قـائلا :

ـ « اذن فقد اغرقت نفسها ! » •

شعرت بالأسى من اجلهـا ، فربما اصابتها حالة اكتئـاب •

قـال الشرطى :

ـ « أنت مخطىء • لم تغرق • قطـع أحـدهم رقبتها ! لقد قتلت ! » •

كان ذلك شيئا فظيعا • انتابتنى رعشة شديدة رغم أننى كنت بردانا جدا • لابد أن أحد أصـدقائها انتابته الغيرة عليها فقتلها • يا لبشاعة الطريقـة التى ماتت بهـا •

تطلع الى رجل الشرطة وقال :

ـ « نريـدك أن تأتى معنـا الى تولون • أنت تعرفها • لابد أن ترى الجثة • حتى لا يحدث أى خطأ من جانبنـا » •

وهكذا ذهبت مع الشرطيين · توجهنا الى المدينة التى رأيتها فيها لآخر مرة خارج المقهى مع صديقها البحار · لم تأخذ بنصيحتى والآن قد ماتت ·

ذهبنا الى المكان الذى نحفظ فيه جثث الموتى قبل دفنهم · وهو مكان بارد جدا · حيث كان جسد صوفى مغطى بملاءة من القماش · وكشف رجل الشرطة عن وجهها فى صمت ·

قلت له :

ـ « أجل انها صوفى ماكدونالد ! » ·

تصورت أن رجلى الشرطة لن يوجها لى مزيدا من الأسئلة · لكن لدهشتى أخرج أحدهما شيئا من جيبه وقال :

ـ « وجدنا هذه الصورة فى غرفتها · ها هى · هل تعرف هذا الرجل ؟ »

تطلعت الى الصورة ، كانت صورة لارى ·

قلت للشرطيين :



ـ « انه أمريكى . اسمه لورانس داريل »
وبطبيعة الحال لم استطع أن أكذب فى أمر كهذا . ثم استطردت :

ـ « لورانس داريل جاء من شيكاجو . وهو يعرف صوفى ماكدونالد منذ أن كانا طفلين فى امريكا » .

ـ « لكن هذه الصورة ألتقطت له فى فرنسا . هل يعيش هذا الرجل فى فرنسا حاليا ؟ »

كنت أعرف أين يقيم لارى . كان يعيش فى قرية صغيرة على بعد أميال قليلة من باريس . أخبرت الشرطيين بذلك .

رسل رجل الشرطة اشارة للارى فوصل الى تولون فى اليوم التالى ، استجوبته الشرطة مدة طويلة ، واكتشفوا أنه رجل طيب . وليست له اى صلة بمقتل صوفى . فلارى لم يرها منذ أكثر من عام تقريبا .

اذن ، من قتل صوفى ؟ لم تكتشف الشرطة ذلك

حتى الآن . من المحتمل ان يكون احد البحــارة قد تشــاجر معهــا وقتلهــا ، وهو الآن على بعد آلاف الأميــال .

كنت أنا ولارى الصــديقين الوحيدين لصوفى . قمنــا بترتيب اجراءات الجنــازة . وكنا الشخصــين الوحيدين اللذين سارا خلفها . فى يوم الجنازة كانت الشمس ساطعة ، لكن ريحا شديدة هبت فجــأة . وأصبح الجو باردا وانحنت الأشجار الموجودة قرب المدافن حزنا عليهــا .

(١٤)

لارى يحكى عن الهند

بعد الجنازة ، سرت أنا ولارى عائدين حيث كانت توجد سيارته القديمة . وبينما كنا نسير بالسيارة وسط مدينة تولون تكلم لارى عن صوفى .

وفجأة قال :

ــ « لقد كانت صوفى المرأة الوحيدة التى اردت الزواج » .

تطلعت اليه بدهشة شديدة ثم سألته :

ــ « لماذا لم تتزوجها عندما كنت فى شيكاجو ؟ » .

اجـــاب :

ــ « كانت مجرد فتـاة صغيرة عندما عرفتها ٠ كانت عقليتها متفتحـة ٠ لكنهـا الآن ماتت ميتـة بشـعة » ٠

قـلت :

ــ « ربما كان الموت هو ما كانت ترغبه ٠ فلم تكن صوفى تريد أن تستمر بها الحيـاة ، حتى تصبح امرأة عجوزا ٠ لكن من الغريب جدا أن حياتها انتهت نهاية مفجعة » ٠

صمت لارى ، ثم قال :

ــ « الحيـاة نقودنا الى أماكن غريبة ٠ ربمـا تكون هذه آخر مرة أراك فيها ٠ سـأعود الى أمريكا قريبـا » ٠

لم يكن لارى قد سـافر الى أمريكا منذ عـدة أعـوام ٠

سألته وأنا أضحك :

ـ « هل ستعمل وتحقق ثراء مثل جراى ؟ »

ـ « من الممكن أن أعمل · لكن لن أحقق ثراء · عندما أغـادر فرنسـا بعد عدة اسـابيع ، لن يكون معى شيء سـوى الملابس التى أرتديها وربمـا بعض الكتب » ·

ـ « وماذا ستفعل بنقودك ؟ »

ـ « سأصرفها · وسيارتى القديمـة سيأخذها صديق · بعدها أكون حرا » ·

فى تلك اللحظـة كنا قد وصلنـا الى المناطق القديمة فى تولون ·

قـلت له :

ـ « اذا لم يكن معك نقود ، يا لارى · فبامكانى أن أشترى طعاما ، فكلانا بحاجة لشيء نأكله قبـل أن نغادر المدينة » ·

وافق لارى · أوقف السيارة وتوجهنـا الى مقهى صغير بالقرب من الميناء القديم ·

لو أن لارى سافر الى أمريكا ، فمن المحتمـل ألا أراه لمدة طويلة ، كنت أريد ان أعرف ماذا حـدث له فى الهند .

طلبنا الطعام ، ثم قلت له :

ـ « تذكر بالطبع آخر مرة تناولنا فيها الطعام معا ، يا لارى ؟ ، حكيت لى عن الفترة التى عشتها فى المـانيا . والآن أود أن اعرف ماذا حدث لك فى الهنـد ؟ » .

قـال لارى :

ـ « ولم لا ؟ . ان ما حـدث لى فى الهند غير حياتى . ومن الممكن أن يسـاعدك ما سأحكيه لك » .

بدأنا نأكل فى صمت لعدة دقائق ، بعدها بدأ لارى يتكلم :

ـ « بعد أن أمضيت فترة فى المـانيا عدت الى باريس . ومن باريس سافرت الى اشبيليه » .

ـ « أسبانيا بلد جميل واشبيليه من أجمـل

مدنها . عشت فيها عندما كنت شابا . مدن أسبانيا جميلة ، وفتياتها أجمل » .

وافقني على ذلك وقال :

ـ « هن كذلك بالفعل . احدى هؤلاء الفتيات اعجبت بي لفترة . كنت انا أقرأ طوال النهـار ، وهى تغنى اغـانى اسبانية بالليل فى المقهى . انتهى الأمر بزواج الفتاة برجل من قريتها » .

سـألته :

ـ « وبالتالى كان الوقت قد حان لكى تغـادر أشبيليه ؟ » .

ـ « نعم . قضيت الفترة فى القراءة عن العقائد الكبرى فى الشرق . وفجـأة قررت السفر الى الشرق. حصلت على عمل باحدى السـفن فى أقرب فرصـة ممكنة . كانت سفينة قديمـة تبحر ببطء ، لكننى لم أهتم بذلك » .

قـلت :

ـ « وهكذا وصلت الى الهند » ٠

كنت سعيدا جدا لأن لارى بدأ أخيرا يروى لى حكايتـــه ٠

ـ « وصلت السفينة الى الهند ، ورست فى ميناء بومباى ٠ توقفت السفينة هنـــاك لمدة ثلاثة ايـــام ٠ فى اليوم الثالث انتهيت من عملى على ظهر الســـفينة ونزلت المدينـــة ٠ أخذت أتمشى لفترة أتطلع الى جموع الناس ٠ كانوا من كل أنحـــاء الهند ومن كل أنحـــاء العالم ٠ قمت بزيارة بعض الكهوف خارج المدينـــة ٠ شاهدت التمثال الضخم ذا الثلاثة رؤوس للاله الذى خلقنا ويساعدنا ، والذى بيده انهاء حياتنا ٠

أثارنى كل ما رأيتـــه ٠ وعدت الى المدينـــة فى المساء ٠ جلست فى أحد الحدائق ، وأخذت أفكر فى الأشياء التى رأيتهـــا ٠٠ الشمس المشرقة ، النـــاس فى ملابسهم الزاهية ، رؤوس الآلهة الضخمة ٠ تطلعت الى الســـماء حيث كانت هنـــاك نجوم كثـــيرة لم ار

مثلها من قبل · وفجأة قررت البقاء فى الهند ، وعدم العودة الى السفينة · كان جواز سفرى فى جيبى ، ومعى بعض النقود · وسألت نفسى ، هل انا فى حاجة لشىء آخر ؟ كلا · تيقنت أن الهند تمنحنى شيئا ما · وقررت البقاء ، والا فلن أعرف السعادة أبدا » ·

ـ « هل بقيت فى بومباى ؟ »

ـ « كلا · سافرت بالقطار الى بنارس · كان الجو حارا جدا · وطوال الرحلة بالقطار ، كان الناس يأكلون ويشربون ويتكلمون » ·

ـ « لكنك يا لارى ، لم تكن تعرف لغة هؤلاء الناس · فماذا كنت تفعل ؟ »

ـ « كان هناك شاب فى القطار يتكلم بعض الانجليزية · ساعدنى فى الحصول على غرفة بالمدينة · وفى المساء أخذنى ليرينى نهر الجانج المقدس · كانت المياه هادئة ساكنة ، والمدينة تنحدر حتى شاطىء النهر » ·

سألتـه :

ـ « هل رايت أناسا يصلون ويستحمون فى فى النهر ؟ »

ـ « أجل • كنا نذهب مبكرا كل صباح الى النهر • حيث نرى آلافا من الناس فى الماء • رأيت رجلا طويلا نحيفا يرفع يديه عاليا وأخذ يصلى بصوت عال للشمس وهى تبزغ » •

ـ « ما هى المدة التى بقيتها فى بنارس ؟ »

كنت اريد بأسئلتى هذه أن يواصل لارى حكايته باجابته عليها •

ـ « بقيت بالقرب من النهر المقدس لمدة ستة شهور • كان الناس فى منتهى اللطف معى • تعلمت الهندوسية ، وشرح لى هؤلاء الناس فكرتهم عن الاله • وهم يؤمنون به ايمانا راسخا » •

ـ « كان هؤلاء من الهندوس ، اذن ؟ »

ـ « نعم · وهم يؤمنون بأن الحياة لا بداية لها ولا نهاية · وعندما نموت ، تنتقل أرواحنا الى أجساد اخرى · نعيش حياة أخرى ، لكننا لا نتذكر ما حدث لنا من قبل » ·

كان ذلك غريبا بالنسبة لى ·

فسألته :

ـ « هل تعتقد فى ذلك ، يا لارى ؟ »

ـ « لا أدرى ، لكن ذات ليلة حدث لى شىء غريب· كنت وحدى أتأمل شمعة مضيئة بتركيز شديد فى محاولة لجعل ذهنى صافياً من الأفكار · تطلعت الى شعلة الشمعة الصغيرة الصافية ، فامتلأ ذهنى بنوع من السكينة والهدوء » ·

توقف لارى للحظة · عاد بذهنه الى الحجرة الصغيرة حيث كان يتطلع الى الشمعة ·

ـ « وبعد مرور فترة من الوقت رأيت صفا طويلا من الناس ، رجالا ونساء ، يقفون وراء بعضهم البعض ،

يرتدون ملابس غريبـة تأملتهم لفترة قصـيرة ، وبعد
ذلك انصرفوا ببطء » ٠

لاحظ لارى أننى أبتسم ٠

فقـــال :

ـ من المحتمل أننى كنت أحلم ٠ لكننى أعتقد
، هؤلاء الناس هم أنا ٠ انهم الناس الذين كنتهم فى
حياتى المـاضية » ٠

قلت للارى :

ـ « بالنسبة لى أعتقد أن حياة واحدة تكفى » ٠
ضحك لارى وقال :

ـ « لكننـا نستطيع أن نخرج بشىء من هـذه
ة ٠ فهذه الفكرة تقوم على أســاس أننا جزء من
شىء يعيش منذ الأبد ٠ والأشياء فى هذا العالم
أشكالا مختلفة ٠ وهذا ينطبق علينا » ٠

ســألت لارى :



ـ « ماذا تعنى بذلك ؟ »

فقد كان لارى يتكلم عن أفكار صعبة للغاية ٠

قــال لارى :

ـ « فكر فى نقطة المــاء ٠ فهى تنطلق بداية من البحر على هيئة بخار يتحول الى سحاب ثم يسقط بعد ذلك مطرا ٠ قطرات الميــاه تسقط فى الأنهار ثم تعود ثانية الى البحر ، حيث تبقى الى الأبد » ٠

قــلت :

ـ « لكننا لا يمكن أن نكون مثل قطرات المــاء ٠ الانسان كيان مستقل بذاته ٠ أيمكن أن نكون جزءا من كل الحياة ، تماما مثل المياه التي تصبح جزءا من البحـــر » ٠

قــال لارى :

ـ « أعتقد أنه من الممكن أن نكون كذلك ٠ هناك آلاف من البشر يعتقــدون ذلك أيضــا ٠ عندما ينسى

النـــاس ما يخص أنفســهم ، فبامكانهم ان يصبحوا ســعداء » ٠

هل كان لارى على صواب ؟ لست ادرى ٠ فكرت فيأصــدقائى الآخرين ، هل كان اليوت سعيدا ؟ وهل كانت صــوفى كذلك أيضا ؟ أنا لا أظن ذلك ٠ لكننى كنت متأكدا بأن لارى كان رجلا سعيدا ٠ فقد كان صوته هادئا وعيناه مليئتين بالسعادة ٠

تطلعت فى المقهى حــولى ٠ كان النــاس يأكلون ويتكلمون كالعــادة ٠ هل هم سعداء ، أم تعســاء ؟ كان من الممــكن ان تصيبهم الدهشــة لو أنهم سمعوا حديثنــا ٠

كانت أفكار لارى صعبة الادراك بالنسبة لى ٠ واعتقد أنكم تجدونها صعبة كذلك ٠ لأنكم لا تستطيعون فهم لارى وما يفعله الا اذا فهمتم أفكاره ٠ لكنهــا كانت سهلة الفهم بالنسبة لى لأن لارى يمتلك صــوتا جميلا ٠ وكان كل ما يقوله واضحا ، ومن الجميل أن نسمعه ٠

(١٥)

ســـر لارى

جلسنا صامتين لعدة دقائق . كانت الشمس ساطعة بالخارج والريح تضرب البحر فتحوله الى أمواج . وأناس كثيرون يمرون أمام المقهى . لقد ماتت صوفى ، ومات اليوت . لكن هل نحن جميعا جزء من حياة عظيمة لا تنتهى أبدا ؟ .

ابتسم لارى ابتسامة ودودة ثم بدأ يتكلم ثانية :

ـ « بعد أن عشت فى بنارس ستة أشهر ، سافرت عبر أرجاء الهند لمدة طويلة . عشت حياة الفقراء . وكان الناس كرماء معى ويساعدوننى . كنت استمع اليهم وتعلمت الكلام بعدة لغات هندية » .

سألتـــــه :

ــ « متى سمعت عن الرجل الحكيم ؟ »

ــ « بعد مرور عامين ، قلت لصـديق لى بأننى سأذهب الى « ترفانكور » جنوب الهند ، فقال لى طالما ستذهب الى هنـاك فلابد أن تقابل الرجل الحكيم الذى يعيش وحيدا فى بيت صغير . لأن هـذا الرجـل من الممكن أن يمنحك ما تبحث عنه » .

سألتـــــه :

ــ « هـل كان من الصعب الوصـول الى هـذا الرجـل ؟ »

ــ « كلا ، كان معروفا للجميع . وكان يزوره كثـير من النـاس . بعد أن وصـلت اليه أقمت عنده سـنتين » .

ــ « سنتان ؟ ماذا كنت تفعل ؟ » .

ــ « كنت أصغى اليه وهو يتكلم ، وأحاول أن اجعل ذهنى صافيا كما قلت لك . كان الرجل الحكيم

لا يتـــكلم كثيرا ، لكن صـــوته كان كالموسيقى • كان الناس يأتون اليه من أماكن بعيدة ليسألوا أسئلة خاصة بهم » •

ــ « وهل كان يساعدهم ؟ »

ــ « كان يحاول أن يجعل الناس تساعد نفسها • كان يعلمهم ذلك بطريقة بسيطة • فكلنا أقوياء أكثر مما نتصور ، واذا أردنا أن نكون سعداء ، فاننا نستطيع لتحقيق ذلك » •

قـــلت :

أعتقد ان قول ذلك مسألة سهلة بالنسبة له • فهو يعيش فى مكان جميل • والنـــاس تتوافد عليـــه ليتحدثوا معه • وليس لديه عائلة ولا عمل يقوم به » •

ــ « هذا صحيح • لكن التعليم كان مهنة هـــذا الرجل • فقد كان يدرك أن هناك بعض الناس لابد أن يعملوا جاهدين طوال حياتهم • وبعض الناس لديهم الكثير من الهموم • لكن العمل ، اذا أديناه كما يجب ،

فانه يساعدنا على ان نكون سعداء · وعندما نعمل ، فاننا ننسى متاعبنا ونجد السعادة » ·

قــلت :

هذا ليس بجديد ، فقد قاله كثير من المعلمين » ·

أجــابنى :

ـ « بالطبع · لكننى كنت سـعيدا جدا للعيش بالقرب من هــذا الرجل · كان الوقت يمر سريعــا وكل يوم كان اسـعد من اليـوم الذى سبقه · كنت اتمنى البقاء هناك بقية حياتى » ·

ـ « لكنــك الآن فى فرنســا يا لارى · ما الذى جعلك تغادر الهند ؟ هل مات الرجل الحكيم ؟ »

ـ « كلا · لكن شيئا حدث لى · ومن ثم أصبحت لدى الحرية للعودة » ·

كنت اود أن أساله عما حـدث · لكننى لم أقل شيـئا · كنت أعرف ان لارى سوف يقص على ذلك بطريقته الخاصة ·

أخيرا قال لارى :

ـ « قال لنا الرجل الحكيم ، ان بامكان بعض الناس أن يكونوا سعداء تماما . وهذه السعادة تكون مثل الضوء أو النار التى تسيطر على كل عقولهم . عندما يحدث لهم ذلك ، فان هؤلاء الناس لا يعودون للحياة بعد وفاتهم . لأنهم مثل قطرات الماء التى تصبح جزءا من البحر الى الأبد » .

سألته :

ـ « هل حدث لك ذلك ، يا لارى ؟ »

نظر الى لارى وضحك بهدوء ، لأنه أدرك أننى أرى ان هذه الأفكار صعبة التصديق .

قال لارى :

ـ « سأحكى لك ما حدث . ذات صباح تذكرت ان عيد ميلادى سيحل بعد عدة أيام قليلة . فقررت ان أصعد الجبل حيث تعودت أن اجلس هناك وحيدا فى كوخ صغير . استمرت رحلة الصعود ثلاثة أيام . عندما

وصلت كنت على بعد عشرين ميلا من أقرب انسان رجلا كان أو امرأة » •

سألته :

ألم تشعر بالخوف من الوحدة والصمت، يا لارى ؟ »

ـ « كلا ، لم أكن وحيدا • لأنه لم يكن هناك صمت بطبيعة الحال ! عندما حل الظلام ، توجهت الحيوانات للشرب من البحيرة فى اسفل • وطوال الليل ، كانت النمور نزأر • والأفيال تقرقع بين الأشجار » •

فى هذه اللحظة كان لارى قد شرد بعيدا • وكنت على يقين بأنه يسمع هذه الضوضاء •

قال لارى :

ـ « قررت مشاهدة بزوغ الشمس يوم عيد ميلادى • سرت فى الظلام الى مكان منبسط فوق قمة الجبل •

فى أسفل كانت هناك البحيرة الكبيرة ، وسفوح



الجبال كانت مغطاة بالأشجار الكثيفة والغابة مليئـة بالحيوانات البرية ، وببطء بدأ ضياء النهار يظهر · وكانت الأشجار مغطاة بالضباب » ·

« فجأة بزغت الشمس بصفاء فوق مياه البحيرة · فبدت صفحة المياه مثل سطح معدنى براق · كان العالم رائعا ، وكنت أنا جزءا من هـذا العـالم · كانت الحياة تدب فى كمـا تدب فى النـاس والحيوانات والأشجار والجبال · كنت فى منتهى السعادة · شعرت أننى اتبدل مثلما تبدل الضباب عندما أشرقت عليـه الشـمس · وادركت لأول مرة ، ماذا تعنى الحياة » ·

قـلت :

ـ « ربما كان ذلك حلما ، فمن المحتمل أن تكون قد نمت » ·

قـال لارى :

ـ « كلا · كان ذلك احساسا حقيقيا ، أنا متأكد من ذلك · هناك العديد من الناس شعروا بذلك · لكن كان يتحتم عليهم أحيانا ان ينتظروا حتى تتقـدم بهم

السن جدا . وأعتقد أنني محظوظ جدا ، لكوني شعرت بذلك وأنا شاب » .

كان على أن أصدق ما يقوله لارى . رغم أنني لست رجل دين ، وليس من مهمتى البحث فى كنه الله والوجود . فأنا رجل يحب الكتابة عن الناس .

سألته :

ــ « اذن فقد وجدت ما كنت تبحث عنه ، يا لارى ؟ » .

ــ « نعم . وجدته » .

ــ « لكن ذلك كان هناك ، بعيدا فى الهند . وانت الآن تريد العودة الى أمريكا ، فماذا ستفعل هناك ؟

ــ « قبل أن أعود الى أمريكا ، سوف أنهى كتابى . بعد ذلك أحصل على عمل فوق سفينة وأعود الى وطنى » .

ــ « لكن ماذا ستفعل ؟ خاصة وانه لن يكون معك نقود للعيش هناك ؟ »

ــ « سأدخر قليلا من المـال من عملى بالسفينة ٠ وبعدها أقوم بأى عمـل ٠ فى جراج ربما ، أو سـائق شاحنـة » ٠

ــ « ألا يكون ذلك مضيعة للوقت ؟ »

ــ « لا أعتقد ذلك ٠ فاذا عملت كسائق شاحنة فستكون أمامى فرصة للترحال فى أنحاء بلدى ، وفى النهايـة أود العيش فى نيويورك ، لأن بها مكتبـات عظيمـة » ٠

ــ « لكن كيف ستعيش ؟ كيف ستحصـل على نقود ؟ » ٠

ــ « من الممكن أن أشترى سـيارة أجرة ٠ ومن ثم أستطيع كسـب عيشى ٠ وباقى الوقت أقضـيه فى المكتبـات » ٠

ورغم أنه كان يضحك فى تلك اللحظة ، الا أننى كنت أدرك أنه جاد فيما يقول ٠

ـ « لكننى لا أفهم لماذا لم تبق فى الهند ، يا لارى ، فقد كان من الممكن أن تكون الحياة أيسر بكثير بالنسبة لك » ٠

ـ « أمريكا وطنى ٠ ومن الممكن ان يتعلم البعض سر سعادتى ، ومن ثم يقومون بتعليمها للآخرين » ٠

قلت له :

ـ « أعتقد أنك ستقوم بمهمة صعبة ، يا لارى »٠

وقف لارى وقال ٠

ـ « أنا أحب المهام الصعبة ٠ عندما تزور نيويورك ابحث عنى » ٠

دفعت ثمن الطعام ٠ قاد لارى السيارة بى الى محطة السكك الحديدية ٠ نزلت من السيارة وصافحته ٠

قلت :

ـ « لا تنس أن ترسل لى نسخة من كتابك » ٠

قال لارى :

ـ « لن أنسى . وداعا ! »

لوح لى لارى بيده وقاد السيارة . أثناء انتظارى للقطار أخذت افكر فى لارى . هل هنـاك احتمـال أن أراه ثانية ؟ ربما لا . لكننى أدركت أننى لا يمكن أن أنسى ذلك الرجل الغريب المثير للانتباه .

(١٦)

أعتقد أنك قتلتها

بعد مضى عدة أيام ، بدأت رحلتى الى انجلترا· توقفت فى باريس لزيارة ايزابيل · وأخبرتها بوفاة صوفى وبما يخطط له لارى ·

كانت ايزابيل وجراى يستعدان للعودة الى أمريكا · كانا مشغولين ببيع الأثاث وحزم أمتعتهما · وسعدت عندما وجدت ايزابيل وحدها عندما وصلت ·

قالت ايزابيل :

ـ « أنا سعيدة لرؤيتك · الى أين أنت ذاهب ؟ »

ـ « انـا ذاهب الى لندن · وقـد حضرت من تولون مؤخرا » ·

ـ « تولون ؟ ماذا كنت تفعل هناك ؟ »

ـ « كنت أنا ولارى هناك ، لحضـور جنـازة صـوفى » ·

ـ « هل ماتت صوفى ؟ أعتقد أنها ماتت بسبب افراطها فى الشراب وتدخين الأفيون · قلت لكم انهـا امراة فاسـدة » ·

ولم تبد ايزابيل أى نوع من الأسى لسماعها هذه الأخبـار ·

قـلت :

ـ « كلا · هى لم تمت بسبب الشراب · لقد ذبحها أحد الأشخاص ثم ألقى بها فى البحر · وعثرت الشرطة على جثتها » ·

ـ « شىء فظيع · هل توصلت الشرطة لمعرفة القـاتل ؟ »

ـ « كلا لكنني توصلت اليه · انت التي قتلتيها يا ايزابيل » ·

ـ « أنا ؟ ماذا تعني ؟ انا لم اغادر باريس منذ عدة شــهور » ·

قــلت :

ـ « لقد عرفت الآن سبب هروب صوفي وعــدم زواجهــا من لاري · لقد أخبرتني صــوفي عن زجاجة الشراب التي وجدتها في هذه الغرفة · لقد خرجت أنت بقصد أن تبقى صوفي في انتظارك » ·

قالت ايزابيل :

ـ « أنت تعرف السبب في خروجي · فقد كان من الضروري أن آخــــذ احـــدى الطفلتــين لطبيــب الأســتان » ·

قــلت :

ـ « أنا لا اصــدقك · لقد خرجت لأنــك كنت تودين من صوفي أن تعود للشراب ثانية » ·

احمرت عينا ادابل من الغضب .

وقـالت :

ـ « لا بأس . لقد فعلت ذلك وكم أود أن أفعله مرة ثانية . لو أن صوفى تزوجت لارى ، فقد كان من الممكن أن تحطم حياته . فهى امرأة فاسـدة . لقد تركت الزجاجة وتمنيت لو أنها شربتها ».

قـلت :

ـ « أرأيت أننى على صواب . أنت قتلتيهـا بالفعـل » .

ـ « أنا سعيدة لأنها ماتت . فصوفى كانت امرأة فاسدة ، فاسدة ! » .

نظرت الى ايزابيل ، وعرفت أنها كانت تخشى شيئا واحدا .

وقـالت :

ـ « لن تقول ذلك للارى . هل ستفعل ؟ » .

ـ « بالطبع لا ، لأننى لا أعتقد اننى سأقابل لارى ثانية على الاطلاق » ٠

سألتنى :

ـ « ماذا تعنى ؟ هل حدث للارى مكروه ؟ » ٠

ـ « الآن هو يعمل على ظهر سفينة فى طريقه الى نيويورك » ٠

قالت بارتياح كبير :

ـ « هذا عظيم ٠ أنا وجراى على يقين باننا سنراه ثانية » ٠

قلت لها بهدوء :

ـ « لا أعتقد ذلك » ٠ وحكيت لها ما قاله لى لارى فى المقهى ٠

عندما انتهيت لاحظت أن ايزابيل تبكى ٠ وقالت وهى تدير وجهها بعيدا عنى :

ـ « الآن فقدته حقيقة » ٠

لم يكن هناك ما يمكن قوله ، فغادرت الغرفة بهدوء .

فى المرة التالية التى زرت فيها باريس كانت ايزابيل وجران قد سافرا الى أمريكا . بعثا الى بطاقة تهنئة بعيد الميلاد من مكان اقامتهما الجديد . وعرفت انهما حققا نجاحا ماليا كبيرا ، كما أنهما ولاشك أقاما صداقات عديدة ، لم أرهما مرة ثانية على الاطلاق .

هذه فى الحقيقة نهاية قصتى ، اما لارى فقد ارسل لى نسخة من كتابه . كان مكتوبا بأسلوب جيد ومن السهل فهمه . وتناول فيه بعض الشخصيات المشهورة التى حققت نجاحات فى مجالات مختلفة .

أعتقد أن لارى حقق ما كان يريده . وحيثما كنت أقود سيارتى فى نيويورك ، دائما ما كنت أحملق فى وجوه سائقى سيارات الأجرة . لكن لم يكن لارى واحدا منهم على الاطلاق .

فى رأيى أن لارى لن يصبح رجلا مشهورا ، لكن ربما يكون قد ساعد بعض الناس فى العثور على

السعادة • كنت أود أن أحكى لكم قصة لارى • لكننى الآن ارى أن كتابى ليست له نهاية • أم أننى على خطـأ ؟ •

عندما أفكر فى اليوت وايزابيل وجراى وصوفى ، أرى أن اليوت مات سعيدا راضيا ، لأنه تلقى دعـوة هامة • وايزابيل أصبحت ثرية اضافة الى أنها جميلة • وجراى عمل باجتهاد وأحبه الناس • أما المسكينة صوفى فقد ماتت مبكرا ، لكن من المحتمـل أن ما حـدث لها كانت تتمنـاه •

أما عندما افكر فى لارى اتذكر مقولة من الشرق :

« ان السبيل الى السعادة الحقيقية من الصعب مواصلتـه • فهو صعب ، صعوبـة السـير على حد الموسى » •

هل نجح لارى فى السير على حد الموسى وعثر على السـعادة ؟

اعتقد أنه نجح فى ذلك •

رقم الايداع ٩٦١٢/٩٩

I S.B.N------------------------

977 - 01 - 6225 - 6

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل. للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع

١٠٠ قرش

